



اختيار وتقديم

فاروق شوشة

مختارات من شعر العقاد

العقاد

تصميم الغلاف والإخراج الفنى

محـمد بغـدادى

رقم الإيـداع : ٩٧/٢٢٠٣

الترقيم الدولى : 977-235-757-7

طبع بالمركز المصرى العربى ٥٨١٥٦٠٧

مختارات من شعر العقاد

اختيار وتقديم

فاروق شوشة

الطبعة الأولى

١٩٩٦

شعر العقاد

حوار الصخر والنهر

بقلم : فــاروق شــوشــة

شعر العقاد

حوار الصخر والنهر

بقلم : فاروق شوشة

بيننا - نحن قراء الشعر المعاصرين - وشعر العقاد مسافة واسعة. زاد من اتساع هذه المسافة العقادُ نفسه، بحرصه علي أن يكون وجهُ الكاتب فيه هو أهم وجوهه وأخطر تجلياته الإبداعية. كانت فكرة الكاتب، وتأثيره اليومي الفاعل في صياغة الأحداث وصنع التاريخ هي الشغل الشاغل للعقاد. وللبرهنة علي عظم هذه الفكرة وخطورتها دخل العقاد السجن، وواجه الأنظمة والحكومات، وتحمل صنوفا من العداء والقطيعة، لكنه ظل علي ولائه لمعني الكاتب الذي تتمثل فيه دوما معادلة الإرادة الانسانية والحرية. وطغي وجه العقاد الكاتب من خلال كتبه في السير والتراجم والعبقريات والتاريخ والفلسفة والعلوم والنقد الأدبي علي وجه الشاعر فيه، بالرغم من أن حجم إنجازه الشعري - المتمثل في أحد عشر ديوانا - يفوق حجم الإنجاز الشعري لأي شاعر عربي كبير من شعراء العصر الحديث، من غير أن ندخل في مقارنة تستهدف النوعية وحجم التأثير.

وزاد من اتساع هذه المسافة أن شعر العقاد وصل إلينا - نحن قراءه المعاصرين - في خضم موجات شعرية متتابعة، شديدة التلاحق والتأثير والقدرة علي تغيير الذائقة الشعرية بدءا بالكلاسيكية الجديدة التي أسس لها البارودي ونفخ فيها شوقي من روح شاعريته الفذة ووسع من آفاقها وقدراتها علي التحديث، بحيث أصبح نموذج شوقي هو النموذج الذي يستقطب جوهر شاعرية البارودي وإسماعيل صبري وحافظ إبراهيم وأضرابهم، وأصفي ما لديهم من خبرة شعرية وقدرة علي احتواء العصر شعريا.

في ظل سيطرة هذا النموذج الشوقي، لم يتح للذائقة الشعرية أن تتسع لشعر العقاد، أو أن تضعه في سياقه الصحيح من حركة التحديث الشعري. فقبل أن يتخلخل نموذج شوقي، كان شعر المهجريين المنهمر من الأمريكتين وممن تابعوهم من شعراء المشرق والمغرب العربيين، ثم كان شعر شعراء أبوللو ومغامراتهم الإبداعيسة من أجل تجلية النموذج الرومانسي للقصيدة العربية، وبعده نموذج قصيدة الشعر الجديد والعاصفة التي أثارها علي الحركة الشعرية العربية من حيث الحساسية والموقف والرؤية الشعرية، كان كل ذلك يباعد بين قراء الشعر وشعر العقاد، وكانت المسافة تتزايد باستمرار كلما أشرق فجر شعري جديد.

وزاد من اتساع هذه المسافة أخيرا، وربما أولا، أن شعر العقاد نفسه لم يكن كغيره من شعر معاصريه أو متابعيه، كان نموذجا يتحدي لدي متلقيه قدراته كاملة، وفي مقدمتها عقله ووعيه وفكره، وقدرته علي

التأمل والتجريد، ولم يكن هذا النموذج مسرفا في العاطفية كشعر الرومانسيين، ولا مسرفا في الجلبة والجهارة والعناية بالفخامة كنموذج شوقي وأضرابه، وليس هو شعر الحواس الظاهرة والقشرة الخارجية بقدر ما هو شعر المشاعر والعواطف العميقة، كان شعر اليقظة والوعي لا شعر الغيبوبة والحلم. وكان العقاد في هذا الشعر ـ كما وصفه مريده وتلميذه سيد قطب في كتاباته النقدية المبكرة عنه ـ شاعرا يعيش في وضح النهار. والوضوح الساطع صفة يمكن أن يباهي بها الكاتب، لكنها ليست مما يسعد به الشاعر الحقيقي.

يقول سيد قطب عن العقاد الشاعر في أحد فصول كتابه «كتب وشخصيات» وهو يتناول بالنقد والتحليل ديوان العقاد : «أعاصير مغرب» :

«في وضح النهار يعيش العقاد، صاحي الحس، واعي الذهن، حيّ الطبع، لا يهوّم إلا نادرا، ولا يتوه فيما وراء الوعي أبدا.

ومعالم الإحساس والتصور عند العقاد واضحة، وعلي رحابتها وانفساحها وعلي عمقها ودقتها يحدها إطار من الوعي المتيقظ، فلا تهيم في وديان مسحورة، ولا تنطلق في متاهات مجهولة.

علي أن للمجهول حسابه في نفس العقاد. ولكن هذا المجهول نفسه فكرة يحيط بها الوعي، ويدعو إلي فرضها العقل، وليس الإيمان بهذا المجهول توهانا روحيا ولا صوفية غامضة، إنما هو رحابة نفسية وفكرية.

ومن هذه الينابيع يتفجر شعر العقاد. فيكثر فيه تصوير الحالات النفسية وتسجيل الخواطر الفكرية، وإثبات التأملات المنطقية - إذا صح هذا التعبير - بقدر ما تقل فيه السبحات الهائمة والانطلاقات التائهة والظلال الشائعة، فكل شيء واضح وكل شيء له حدود».

ثم يقول سيد قطب: «ويعوض شعر العقاد الجيد عن الرفرفة الطليقة تلك الحيوية المتدفقة، وعن الإيقاع المتموج تلك الحبكة الرصينة، وعن الانطلاق الهائم ذلك العمق الدقيق، وعن سبحات الصوفية التائهة صدق الحالات النفسية الواضحة.

ويبلغ العقاد قمته حين تبلغ الحيوية تدفقها فتجرف المنطق الواعي وتغطي عليه. فأما حين يضعف هذا التدفق، فيتجرد الشعر من اللحم والدم ويخيل إليك أن مكانه ليس هنا في الديوان، ولكنه هناك في كتبه بين التأملات الفكرية والقضايا المنطقية».

بل إن العقاد نفسه في تقديمه لديوانه «بعد الأعاصير» يهاجم قول القائلين: إن الشعر وجدان، وقد كان عبد الرحمن شكري - زميله في جماعة الديوان - هو الذي وضع هذا البيت علي غلاف الجزء الأول من ديوانه:

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدانُ

ومدخله لهذا الهجوم أن القائلين به يرون أن الشاعر لا يتأمل ولا يفكر، وإلا قيل في شعره إنه كلام لا يوحيه الوجدان. لكنه يلقي بسؤاله المباغت: أيّ وجدان؟ ويقول: إنهم لا يسألون هذا السؤال وهو ألزم

سؤال، فالإنسان الهمجي له ـ في رأيه ـ وجدان وله شعور. ولكنه وجدان كوجدان الحيوان، وشعوره لا يرتقي إلي طبقة التعبير الجميل أو غير الجميل.

والإنسان الصوفي له وجدان وشعور، ولكنه إذا عبر عن وجدانه وشعوره دق تعبيره علي عقول الكثيرين أو الأكثرين. وهو يفرق في تحديد قاطع بين الإحساس والترقق، وينبه إلي سخافة شائعة في مصر والشرق بين أدعياء الإحساس ـ ممن لا يحسون ولا يفكرون ـ وهي اعتقادهم بأن الإحساس والترقق مترادفان، ويوشك أن يموت الإنسان عندهم من فرط الإحساس، لأنه يحس في زعمهم بمقدار ما يتراخي ويتخاذل ويئن وينوح.

ويخلص العقاد من كل هذا الجدل التحديدات المنطقية حول مفهومه للوجدان إلي أن الفن والأدب وجدان ولكنه وجدان إنسان، ولن يكمل الإنسان بغير ارتفاع في طبقة الحس وارتفاع في طبقة التفكير، والتمام في مزاياه الإنسانية أن يتم له الحس ويتم له التفكير.

من هنا فقد استقر في روع قراء العقاد، أن شعره شعر الفكرة لا شعر التجربة ـ بالمعني الرومانسي ـ، شعر الخاطرة التي تصل بالجزئي إلي الكلي، وتعبر المسافة بين المحدود واللامحدود، وتقبع في المسافة بين العَرَض الظاهر والجوهر الخبيء وتلعب علي الجدل بين المتناقضات ـ مجال الولع الشديد عند العقاد ـ بمنطقه وقدرته علي الجدل والمحاجة.

ولن نجد تصورا يقربنا من النموذج العقادي في الشعر، كالذي نجده في حديث العقاد نفسه عما يسميه «الموضوعات الشعرية» في تقديمه لديوانه : «عابر سبيل» وهو الديوان الذي يستحق منا ـ نحن قراء شعر العقاد المعاصرين ـ كل الاهتمام والحفاوة لأنه يضم بين دفتيه جوهر شعر العقاد وخصوصيته المتميزة في الإبداع الشعري. فهو الديوان الذي يكشف لنا عن وعي العقاد بما هو شعري، وعن تجاوزه لما يسمي بالمعجم الشعري بالمعني الذي أكثر الرومانتسيون الغربيون ونقادهم من الحديث عنه في كتاباتهم، وهي كتابات تتبني جميعها فكرة أن الشعر تعبير عن المشاعر.

فالعقاد يري أن إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة ويبث فيه الروح ويجعله معني شعريا تهتز له النفس أو معني زريًا تصرف عنه الأنظار وتعرض عنه الأسماع، وكل شيء فيه شعر إذا كانت فينا حياة أو كان فينا نحوه شعور.

ويري أن كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر، لأنه حياة وموضوع للحياة.

ويفجر العقاد ثورته الشعرية الكبري في ديوانه «عابر سبيل» عندما يقرر أن «عابر سبيل» يري شعرا في كل مكان إذا أراد : يراه في البيت الذي يسكنه وفي الطريق الذي يعبره كل يوم، وفي الدكاكين المعروضة، وفي السيارة التي تحسب من أدوات المعيشة اليومية ولا تحسب من

دواعي الفن والتخيل لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور صالح للتعبير، واجد عند التعبير عنه صدي مجيبا في خواطر الناس.

وفي رأي العقاد أننا ـ نحن أبناء العصر الحاضر ـ في حاجة إلي هذا التوجيه لإنقاذ النفس الإنسانية، لا لإنقاذ الملكة الفنية وحدها، فإننا إذا تعوّدنا العناية بالأشياء وجدنا فيها ما يستحق العناية وينفض عن النفس تلك التفاهة التي غلبت علي الحياة وعلي الشعر والفن في هذه الأيام الحديثة.

أكان العقاد ـ في نبوءته هذه ـ علي وعي بما سيئول إليه حالنا، بعد رحيله عن عالمنا باثنين وثلاثين عاما؟

لقد حقق العقاد في ديوانه «عابر سبيل» ما سبق أن دعا إليه وردزورث في رفضه للمعجم الشعري الذي كان سائدا في زمانه، والذي يفرق بين لغة الشعر ولغة النثر. وتبني العقاد لغة شعرية هي لغة الناس البسطاء، التي نجدها أوضح ما تكون في قصيدته «أصداء الشارع» التي يقول فيها :

بنو جرجا ينادون علي تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألوك تعريبا وتتريكا
ويتراكي إلي الجود علي الإسلام يدعوكا
وفي كفيه أوراق بكسب المال تغريكا
وأقزام من اليابان بالفصحي تحييكا

وإن لا تكن الفصحي فبالإيماء تغنيكا

قريب كلها الدنيا كرجع الصوت من فيكا

دعا الداعي فلبّوه طغاة وصعاليكا

إذا ناديت يا دينار من ذا لا يلبيكا

فما في الناس هذاك ولا في الأرض هاتيكا

وهي لغة شعرية تذكرنا بالصدمة التي أحسها بعض الناس عند قراءة النماذج الشعرية الأولي في حركة الشعر الجديد، ولجوء بعض رواد هذه الحركة الشعرية إلي لغة بسيطة عارية من الزخرفة والبلاغة، لغة تتسم بالواقعية الشديدة والبعد عن تهاويل الرومانسية وجلجلة الكلاسيكية وصخبها.. وهي اللغة التي تمثلها صلاح عبد الصبور في قصيدته «الحزن» إحدى قصائد ديوانه الأول «الناس فى بلادي» وهو يقول :

يا صاحبي إني حزين

طلع الصباح، فما ابتسمت، ولم ينر وجهي الصباح

وخرجت من جوف المدينة أطلب الرزق المتاح

فشربْتُ شايا في الطريق

ورتقت نعلي

ولعبت بالنَّردِ الموزع بين كفي والصديق

قل ساعةً أو ساعتين

قل عشرة أو عشرتين

وبهذا المعني، يكون العقاد سابقا لرواد الشعر الجديد - في تبني هذه اللغة الشعرية - بأكثر من عشرين عاما - فقد ظهر ديوان عابر سبيل في طبعته الأولي عام ١٩٣٧ - ولا يتركنا العقاد حتي يعود إلي تأكيد فكرته التي تمثل جوهر ثورته الشعرية وبلورتها علي هذه الصورة الشديدة التركيز وهو يقول في الصفحة الأخيرة من ديوان «عابر سبيل»:

«الفكرة في ديوان عابر سبيل هي أن مشاهد الحياة وعظات الأيام علي متناول اليد من كل إنسان إذا شاء أن يدير إليها عينيه، وأنه يستطيع أن يخلع الحياة الإنسانية علي ما حوله فإذا هو في جيش لجب من الخواطر والبدوات والخوالج والأحاسيس : عالم محشود في البيت وفي الدكان وفي الطريق وفي حيثما كان عابر سبيل».

والغريب أن هذه اللغة التي اصطنعها العقاد في «عابر سبيل» وفي غيره من دواوينه الشعرية من بعده، لم تنجح في تحريض الناس علي مقاربة شعره، أو التعامل معه، وظلت الفكرة الشائعة عن شعر العقاد والتي تدور في فلك الصعوبة والوعورة والحوشية والتعقيد هي المسيطرة، وظل الذوق الأدبي العام ينظر إلي شعر العقاد باعتباره امتدادا لدراساته في كتبه، وجها من وجوه تجلياته الفكرية، ونزعاته التأملية وولعه بالمنطق والجدل. وكان العقاد نفسه يحرص علي مثل هذا الفهم الخاطيء حين يقول في مقدمة ديوانه «بعد الأعاصير» :

«والحقيقة التي ينبغي أن نحفرها في أخلادنا هي أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير، وأن الشاهد علي ذلك أدب التحول بين

شعراء الأمم العالميين ومنهم أمثال شكسبير وجيتي والخيام وأبو الطيب.

ونخص الشعراء بالذكر لأن صدق هذه الملاحظة عليهم يجعلها أقمن بالصدق علي الأدباء الناثرين.

فأغاني شكسبير مثلا سلسلة من الأفكار التي يمتزج فيها الفهم بالشعور، ودع عنك قصائده التي نظمها في الروايات أو أجراها علي ألسنة الرجال والنساء، فإن شعر «الأغاني» أحق شعر أن يقصر علي «الوجدان» إذا صح ما يفهمه بعضهم من الأغراض الوجدانية وخلوها من التفكير.

وقصة فاوست الكبري - وهي أعظم أعمال جيتي - هي فلسفة الحياة والبقاء، وفلسفة الخير والشر، وفلسفة المعرفة والضمير، وليس فهمها بأيسر من فهم قضايا المنطق ومعادلات الرياضة والكيمياء.

ورباعيات الخيام يصحّ أن تسمي «فكر الخيام» لأن الرباعية منها تدور علي فكرة أو خلاصة أفكار، ولا يمنعها الشعور أن تكون شعور إنسان من المفكرين.

والحكم علي المتنبي ميسر لمن يقرأ العربية وحدها ولا يقرأ غيرها من اللغات، وليس في قصائده قصيدة واحدة يقول القائل إنه أهمل الفكر فيها، وإنها وجدان بغير تفكير.

فمن أمثلة ذلك القضية التي صاغها في بيت من الشعر حيث يقول :

وإذا لم يكن من الموت بـد   فمن العجز أن تكون جبانا

أو القضية التي صاغها في هذا البيت :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ

أو هذه التقسيمات الوافية التي يقول فيها :

تصفو الحياة لجاهل أو غافلٍ عما مضى منها ومسا يتوقعُ

ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمعُ

ثم يقول العقاد معقبا علي البيتين الأخيرين من شعر المتنبي :

فإن التفكير إذا ذهب في هذا المعني إلي غايته لم يأت فيه بمزيد بعد الجهل والغفلة والمغالطة في الحقائق، ولم يأت بشرح للغفلة أتم من الغفلة عن الماضي والمتوقع، ولا بشرح لمغالطة النفس في الحقائق أتم من تمادي المغالطة إلي الطمع في المحال».

العقاد إذن تشغله القضية أو القضايا في الشعر، وكيف تصاغ القضية في بيت واحد من الشعر، وهي التي تشغل منه - كاتبا - العديد من الصفحات لو أراد. كما تشغله التقسيمات الوافية التي تشير إلي منطق صارم وقدرة علي الجدل، وهي التقسيمات التي جعلت بعض خصوم العقاد - الكاتب - يقولون عنه إنه كاتب يلعب بالبيضة والحجر، وإنه يستطيع أن يقول اليوم ما يهدمه غدا، وهو في الحالين قادر علي استخدام الحجة والمنطق. والعقاد حسن الظن بقراء شعره، شديد التقدير لوعيهم وقدرتهم، فهم ليسوا من العامة المسفين في الذوق والفهم - بالغةً ما بلغت الجرأة والادعاء ببعض الزاعمين - لأن العامة المسفين لا يقرأون ما يصعب فهمه - أي شعره - علي الذين يدّعون الخبرة بالنقد والبصر والكلام، وهو المأخذ الذي يردده «الخبراء الألباء» كلما عرضوا لشعر صاحب الديوان.

والعقاد إذن علي بينة بمن يهاجمون شعره ويتقولون عليه بغير حقيقته، مدرك للمأخذ الذي يأخذه عليه من يسميهم - من باب السخرية والتهكم - بالخبراء الألباء، وهو صعوبة الفهم وعسر التناول وبعد الغاية. لكن هذا الاعتراف أو شبهته من العقاد لا تجعلنا نمضي مع هؤلاء الألباء إلي حد نفي الشاعرية كلية عن العقاد كما حاول بعضهم، ولا إلي تبني الموقف النقيض عند الآخرين الذين نادوا بالعقاد أميرا للشعر والشعراء بعد رحيل شوقي. فكلا الموقفين يبعدنا عن حقيقة العقاد الشعرية.

هل معني هذا أننا لن نجد شعرا للعقاد كالذي اعتدناه من شعراء العاطفة والخيال والتدفق الشعري؟ وهل خلا شعره من حديث الحب ومجالي الطبيعة وصبوات القلب وجموح الريشة المصورة، وهو الشعر الذي تهزنا وفرته عند شعراء أبوللو : إبراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل وعلي محمود طه وأبي القاسم الشابي، كما نجده غزيرا في شعر المهجريين من أمثال إيليا أبي ماضي وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة - أقربهم إلي روح العقاد الشعرية؟

الإجابة أن الأمر علي عكس ذلك تماما!

فمساحة كبيرة من شعر العقاد تكاد تجعل منه شاعرا رومانسيا، يشبه شعره المهجريين، ويحلق معهم في آفاقهم ويسبقهم في الريادة والاكتشاف. لكن الحب عنده يظل مختلفا، في المعني والدلالة :

غـريرة تسـأل مـا الحب؟
بُنَيَّـتي : هذا هو الحب :

الحب أن أبصر ما لا يري أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسيغ الحق ما سرنى فإن أبى، فالكذب المفترى
الحب أن أسأل ما بالهم لم يعشقوا المنظر والمخبرا
ويسأل الخالون : ما باله هام بها بَهْراً وما فكرا

وقوله :

بُنَيتي ، هذا هو الحبُ
فهمته ؟ كلا ولا عتْبُ
مسألة أسهلها صعبُ
لا الناس تدر بها ولا الكتبُ
حسبك منها لو شَفَتْ حسْبُ
إشارة دق لها القلبُ

وهي قصيدة تطالعها كاملة ضمن هذه المختارات.

وشعر العقاد هو وحده ـ من بين كل آثاره القلمية ـ الذي يكشف لنا عن ضعفه الإنساني، ويجعلنا ننسي صورة «السوبرمان» أو «الرجل الخارق» التي نخرج بها من سائر كتاباته، صورة تتشكل من عناصر العناد والإصرار والكبرياء والتحدي والشعور بالزهو والتفوق والاستعلاء علي الآخرين. أما العقاد في شعره فهو كائن شديد الهشاشة لفرط حساسيته واتقاد مشاعره ورهافة وجدانه، تنوشه الظنون ويقلق كما يقلق الناس ويبكي بكاء الطفل الذليل ويغص بالماء الذي أعده للري، ويتقلب

في نيران الجحيم ويتمني لو باع حظه كله بساعة واحدة ينسي بها عمره فكأنه لم يولد :

يوم الظنون صدعتُ فيك تجلدي
وحملت فيك الضيم مغلول اليدِ
وبكيت كالطفل الذليل، أنا الذي
مالان في صعب الحوادث مقودي
وغصصت بالماء الذي أعددته
للريّ، في قفر الحياة المجهدِ

وهناك من يري أن هذه القصيدة، يوم الظنون» هي من بدائع العقاد الشعرية، وشاهد علي حقيقة شاعريته، بل إنها عروس قصائده علي الإطلاق. وهو افتنان بشعر العقاد ليس بالمستغرب علي تلامذته ومريديه والراغبين في إنصافه شعريا، وقد يبالغ بعض هؤلاء فيفردون لقصيدة العقاد في رثاء «مي» موقعا يتقدم قصيدته «يوم الظنون»، ومنهم من يري أن قصيدته عن «الكروان» التي ضمها ديوان «هدية الكروان» هي الأولي بالتقديم والإشادة.

وفي هذه المختارات من دواوين العقاد، نطالع بكائيتين للعقاد تمثلان أصدق شعره عاطفة وحرارة في مجال بكاء الأحباء ووداعهم. إحداهما في وداع «مي» التي شغفت عددا من كبار أدباء ومبدعي زمانها حبا ولهًا، واستطاعت أن تقنع كلا منهم بأنه ـ وحده ـ المقرب الأثير، وكان العقاد في مقدمة هؤلاء. والثانية في وداع «بيجو» كلب العقاد الأثير،

اللصيق بوجدانه وقلبه. ومن الإنسان إلي الحيوان يرقي العقاد في إبداعه الشعري، وفي تعبيره عن مشاعر اللوعة والفقد، إلي ذروة بعيدة سامقة، لا نألفها كثيرا في شعرنا العربي. والبكاء عند العقاد ممتزج كعادته بالفكر والتأمل، والارتفاع عن الموقف المحدود إلي المعني الكلي والرؤية الفسيحة الشاملة. ها هو ذا العقاد وجها لوجه مع الموت، يواجهه ويستصرخه ويثور عليه، ويحقد علي التراب الذي يضم وديعتين غاليتين، وروحين نادرتي المثال :

كل هذا في التراب .. آه من هذا التراب !

ولا يفوته أن يسترجع مخزونه الثقافي والنفسي عن الحيوان عامة والكلب خاصة، ويستحضر ـ بشاعريته ـ قطمير، الكلب الذي صحب أهل الكهف وارتبط اسمه بهم، وكل الكلاب في رأي العقاد ـ والذين هم علي شاكلة بيجو محبة ووفاء وذكاء ورهافة شعور ـ هم آل قطمير، المذكرون به وبأسطورته في النبل والوفاء :

يا آل قطمير هواكم عجيب

إن ثمة خزانا للدمع يمتليء به وجدان العقاد، وينهمر في بكائياته شاعرية دامعة، ومشاركة أسيانة، وضعفا إنسانيا مرتطما بالقدر، ومتصلبا في مواجهته وتحديه.. وهي الثنائية التي مثلها العقاد دوما باعتباره تجسيدا لحوار الصخر والنهر في مهاد نشأته الأولي : أسوان، حيث يشمخ الجرانيت والصوان في عناق النهر المتدفق، المتليء بالجنادل والصخور. هذه الثنائية التي نطالعها في تجليات شعره : انسيابَ رقةٍ

ووعورةَ خشونة، نزقَ طفولة وحكمةَ كهولة، اندفاع عاطفة وروية عقل وفكر، رضًا يتسع فيحتوي العالم وغضبا يشتعل معلنا عن رغبة في تدمير الكون - هي التي أودعت شعره هذه الفصول المختلفة من الطقس النفسي والفني، وأغنت رحلته مع الشعر بحصاد من التجارب المتميزة، والأصداء النادرة والمعالم الفريدة.

أليس هو القائل في تقديم شعره لقارئه مؤكدا هذه الثنائية :

هذا كــتــابى في يد القــراءِ
ينزل فى بحــر بلا انتــهــاءِ
فــيــه من الحكمــة والغــبــاءِ
وفــيــه من يأس ومن رجــاءِ
وفــيــه من حب ومن بغــضــاءِ
وفــيــه من صمت ومن ضوضــاءِ
صــورة مَــحْــيــايَ لعين الرائى
فليلْقَ بين القــدح والثناءِ
مــا شــاءت الدنيــا من الجــزاءِ

وشيئا فشيئا سينحسر عنا وجه العقاد : الكاتب الموسوعى، لأن عصر التخصص وثورة المعلوماتية والانفجار المعرفي يتجاوز العقاد - فيما تناوله في كتاباته - بكثير. فلم تعد آراؤه في النبات أو الحيوان أو الفلك أو الطبيعة أو التاريخ - مثلا - صالحة للاستمرار أو مخاطبة الحاضر والمستقبل. ولم تعد وفرة اهتمامه - بالكتابة في كل شيء - تَشُدُّ

القاريء المعاصر الذي يسعي إلي التخصص الضيق والتناول العميق..
ولن يبقي من العقاد إلا شعره، خطابا إبداعيا يتجه إلي قاريء كائن وقاريء لم يوجد بعد. وستبقي في هذا الشعر صورة العقاد الحقيقية ـ إذا أخذنا بنظرية المرايا واعتبرنا الشعر مرآة للشاعر أو صورة لبيئته وعصره وزمانه، وجهده الإبداعي المستمر من أجل البرهنة علي مفاهيم جديدة للشعر دعا لها منذ صيحته الأولي في كتاب الديوان الذي أصدره بالاشتراك مع زميله في رحلة الحياة والفكر : إبراهيم عبدالقادر المازني، فى عام ١٩٢١ ، ثم عاد إلي تأكيدها وبلورتها في كتابه «شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضى» عام ١٩٣٧ ، ولم يفته أن يشير إليها في مقدمات دواوينه الشعرية، بل وفي تقديمه للجزء الثاني من ديوان عبدالرحمن شكري. وقد يري البعض أن المسافة شاسعة بين ما نادي به العقاد من فكر وتنظير وما أنجزه من إبداع شعري وأنه في كثير من جوانب هذا الإبداع لم ينجح في التحرر من أسر النموذج الشوقي فجاءت بعض قصائده علي غرار قصائد شوقي من حيث التناول والصيغة وإن لم تَرْقَ إلي أفقه الكلاسيكي فخامة وروعة بناء.

نعم، سيبقى العقاد الشاعر أضعاف بقاء العقاد الكاتب. وسيبقى إبداعه الشعري المتميز، يجتذب مريديه وعاشقي فنه، ونموذجه الشعري، وجمهرة أخري يتملكها الفضول، فتقترب من تخوم هذا العالم الثريّ المتميز تحاول أن تكون من وارديه.

وهذه المختارات ـ من دواوين العقاد ـ محاولة لفتح الباب أمام قراء هذا الجيل ليعرفوا العقاد الشاعر علي حقيقته، وليقتربوا من نماذجه الجميلة وإبداعه الباقي، وليصافحوا فيه لغة غير تلك التي عرفوها عنه في دراساته وترجماته وعبقرياته، ندّية بماء الشعر، مشتعلة بصهد الحياة ووقدها اللافح، مبتلة ـ في أحايين كثيرة ـ بانهمار الدموع.

لقد كان العقاد يري ـ كما سجل في تقديمه لديوانه الأول ـ أن الشعر يعمق الحياة، فيجعل الساعة من العمر ساعات : «عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التي يعرض عنها سواك ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة، تكن قد عشت ما في وسع الإنسان أن يعيش، وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت ...».

فلنملأ ساعات العمر بمثل هذا الشعر العميق البديع، نغنم أعمارا من المتعة والبهجة، والنشوة الرفيعة، تضاف إلي الأجل المحدود.

فاروق شوشة

مختارات من شعر العقاد

العقاد

الإهداء

إيه يا من أوحت الشعر وخانت شاعرهْ

لك أهديه لِوَحيك

* * *

إيه يا من ليس يُوحيه وينسى ذاكرهْ

لك أهديه لرغْيك

* * *

هكذا أبرأ في الحالين من حَمْدِ خيانة

وأصونُ العهد ممن رام شعري بصيانة

وأداري حيْرتي خافيةً أو ظاهرة!

غزل ومناجاة

ارتجال المنى

منِّنى أطيب المنى يا حبيبي   فالمنى وحدهن منك نصيبي

إن يَفتنا منالها لم تفتنا   نظرة من خيالها المرقوب[1]

* * *

منِّني، بل دع المنى يا حبيبي   فشقائي في الموعد المكذوب

هان فقد المنى التي لم تَعِدنا   وافتقاد الموعودِ جدٌّ صعيبِ

* * *

أعطني! أعطني إذن يا حبيبي   غيرَ ما ناكث ولا مستجيبِ[2]

أعطني صفوك ارتجالا ودعنا   من مطالٍ بالوعد أو تقريب[3]

فارتجال المنى أحبُ لنفس   شبعت من رويَّة التجريب[4]

---

(١) المرقوب : المأمول والمنتظر.
(٢) الناكث : من يخلف وعده.
(٣) المطال : التسويف والتأجيل.
(٤) الروية : الحكمة والنضج والخبرة.

أغنيات

هذه الأغاني نظمت لتنشدها المطربة «نادرة» في رواية من روايات الصور المتحركة حسب المواقف التي تعرض لأبطالها، وهذه الأغنية التالية تنشد في زورق يجري علي النيل عند القناطر الخيرية تحت أشجار الصفصاف التي تطل علي الشاطيء، وفي الزورق المحبان يتناجيان، والحبيبة تنشد :

في الهـــوى قـلبي زورقٌ يـجـــري
أيــن يمضــي بــي نهــره الخــمـرى
ليــتنــي أدري

* * *

ليــتــه يجــري يــا أبــا الأنـهـــار
مــثلمــا تــسري في حِــمَى الأقــدار
حــولك الأزهــار

* * *

حــولك الصــفـصــاف مــسبل الشــعــر
نــاعس الأطـيـــاف ســابح الـفـكـر
في الهـوى السـحـري

* * *

يا رياض النيل علمني قلبي
فرحة التهليل عشت للحب
يا منى الصب
***

قال لي قلبي والهوى يرعاه
هو في قربي ما الذي أخشاه
عندما ألقاه
***

أمسية على النيل

وهذه الأغنية تنشد على شاطىء النيل بعد الغروب

يا حـــبـــيــبـــبي أنت ريٌ   ليس في الماء نـظيــــره
يا حــبــيـــبـــبي أنت ظل   ليس للروض عــبــيــره

* * *

يا حـــبــيـــبـبي أنت بدر   أين نـور البـــدر منـه؟
أيـــن نـــور زانــــه الحـــ   ـــب ونـــور لــم يــزنــه؟

* * *

أنــت عـــنـدي كــل شـيء!   كـل مـــا شـــئـت يكون
قل لهـــذا الليل يبـــقى   ومـع الــلــيــل الــســكــون

* * *

قـل لـه فـــهـــو نجيٌّ   مــرهف الـسـمع إلينا
كــيـف يَعْــصي لك أمـــرا   والـهــــوى طـوع يـديـنـا

* * *

الزوجة المهجورة
يوم ميلادها

وهذه الأغنية تنشدها الزوجة التي هجرها زوجها يوم ميلادها ولم يرض أن يلازمها في المنزل ليشاركها في الاحتفاء بهذا اليوم :

مــــولدي يوم شـــقـــائي ... مـــات في المهــد رجـــائي

ليس فـي قـلبي عـــــزاءُ ... أين في الدنيـــا عـــزائي!

أحــسب البـــدر ظلامـــا ... وهو مـصبــاح السمــاءِ

لاح في الأفق وحــيـــدا ... ومن الوحـــــدة دائـي

كم أرانـي النور حــــزنا ... كـــان في طيّ الخــفـــاءِ

إغـــواء

وهذه الأغنية تنشدها بطلة الرواية على مسمع من صاحبها لتوحي إليه أنه هو المقصود بحبها وغنائها، وقد كان يجهل ذلك :

هـل درى من أحـــــبـــــه　　　أين فـي الحب مطمـــــعـى؟
هـل مـــــعـي الآن قـلبـــــه　　　مـثلمـا سـمـعـه مـعي؟!

***

هـــل أراه بـــنـــاظـــري　　　أم أرى الطيف بالرجـــاء
ربمـــا بـــات زائـــري　　　وهو في البـعـد كـالسـمـاء

***

لـيـتـه يكشف الضـمـيـرا　　　لـيـتـنـي بالهـــوى أبوح!
فـاكـشف الروض يا عـبـيـر　　　إنَّ عطر الهـــوى يفـــوح

***

شـــرعـــة القلب شـــرعـتي　　　مـــا احـتـيـاجي إلى شـفـيع
إن تـسـلني فـــحـــجـــتي　　　فـي يـدي - زهـرة الـربـيـع

في ساعة انتظار

يا ساعة الصفو غبت عني		وحيَّرَتْ لوعتي خطاك
تائهــة أنت في طريقي		هذاك نور الهـوى هذاك

* * *

أبطأت يا ساعة التمني		وموعد الملتقى قريب
هل يبطيء البين لو سعى لي		كما سعى موعد الحبيب

* * *

أصبحت في لهفتي عليه		أنتظر الليل بالنهار
طال انتظاري له فماذا		في الغيب يا ليلُ بانتظاري

* * *

الصدار الذي نسجته

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك

* * *

هنا هنا عند قلبي يكاد يلمس حبي
وفيه منك دليل على المودة حسبي

* * *

ألم أنل منك فكرة في كل شكة إبرة
وكل عقدة خيط وكل جرة بكرة!

* * *

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك
والقلب فيه أسير مطوّق بحصارك!

* * *

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب
سليه : هل مرَّ منه إليَّ طيف غريب؟

* * *

نسجته بيديك على هدى ناظريك
إذا احتواني فإني ما زلت في إصبعيك

قولي مع السلامة

نعم مع السلامة والحب والكرامة

* * *

حديثك الممتع لي

من ثغرك المقبَّل

وأنت لي في منزلي

وشيكةٌ أن تخجلي

من قبلة حَسرىً إلى لغو إلى ابتسامة

ولا تقولي عندها لا. لا. مع السلامة

حتى إلى القيامة

* * *

أما إذا مِسرَّتي

نادتك يا حبيبتي

فاستمعي تحيتي

ثم «اسألي عن ليلتي»

ثم اضحكي وسلسلي

ضحكتك النَّغامة

فإن أطلت بعدها فهذه علامة

قولي مع السلامة

في النفس

هذا هو الحب!

غـريرةٌ تسـأل : مـا الحب؟
بُنيـــتي ! هذا هو الحب!

الحب أن أبصـــر مـا لا يُري   أو أغـمض العين فـلا أبصـرا
وأن أسبـيغَ الحق مـا سـرَّني   فـإنْ أبىٰ فـالكَذِب المفـترى

* * *

الحب أن أســأل : مـــا بالهم   لم يعشـقوا المنظر والمخبـرا ؟
ويسـأل الخـالون مـا باله   هام بهـا بهْـراً ومـا فكَّرا ؟[1]

* * *

الحب أن أفـــــرق من نملة   حيناً، وقد أصرعُ ليثَ الشَّرى[2]
وأن أراني تارةً مـــقــبـــلا   وخطوتي تمشي بِيَ القـهـقرى

* * *

(١) بهرا : انبهارا وإعجابا.
(٢) أفرق : أخاف وأفزع.

الحب كـالخـمـر فـإن قـيـل لي سـكـرتَ؟ هَمَّ القـلـبُ أن يُنْكِرا
وكلّ عـضـو بعـده قـائل نعم، ولا أحـفـل أن أسكرا

* * *

الحب أن يَفْـرِقَ أعـمـارنـا عـهدان، والعهد وثيق العُرَى
أخـسبني الأكـبـر حـتى إذا عـانقتني ألفيتني الأصْغَرا[1]

* * *

الحب أن نصـعـد فـوق الذرى والحب أن نهـبـط تحت الثـرى
والحـب أن نـؤثـر لـذاتـنـا وأن نـرى آلامـنـا آثـرا

* * *

الحب أن أجـمـع فـي لحظة جـهنم الحـمـراءَ والكوثرا[2]
وإنني أخطيءُ في لهـفـتي مَنْ منهـمـا رَوّى ومَنْ سعّرا[3]

* * *

الحب أن يمضي عـام ومـا هـممـت أن انظم أو اشـعـرا
وربما علّقت في سـاعـةٍ حـواشي الدفـتـر والأسطرا

(١) ألفيتني : وجدتني.
(٢) الكوثر : نهر في الجنة.
(٣) سَعّرا : أشعل اللهيب وأيقظ العطش.

بُنيَّتي! هذا هو الحبُّ

فَتهِمْتِه؟ كلاَّ. ولا عَتْبُ!

مسألةٌ أسهلها صعب

لا الناس تدريها ولا الكتبُ

حسبك منها، لو شَغَفَتْ حسبُ

إشارةٌ دق لها القلبَ

عدنا والتقينا

التقينا

والتقينا!

عـجـبـاً كـيـف صـحـونا ذات يوم فـالـتـقـينا

بعـد مـا فـرّق قُطرانٍ وجـيـشـانٍ يدينا[1]

فـتـصـافـحنا بجـسـمـينا وعـدنا فـالـتـقـينا

بعد عصر!

أي عصر؟

والنوى تجـري وسـر الحب في الأكـوان يجـري

ثم نادانا تعـالوا فـاهبطوها أرض مـصـر

قـضي الأمـر كـمـا شـاء، وعـدنا فـالـتـقـينا

* * *

كم بكيتِ

واشتكيتِ

(١) كان الشاعر قد ترك مصر إلي السودان عندما تقدم جيش روميل الألماني من حدود مصر - أثناء الحرب العالمية الثانية - وهذه القصيدة تنبض بمشاعره بعد العودة إلي الوطن.

ثم ألهمتِ على الغنيب فأصغينا وقلتِ
قلت في السابع والعاشر من شهر سيأتيْ
ها هنا سوف تراني، فرأينا والتقينا

***

يوم ذكرى
ذاك أحرى
بالتقاءٍ كلما دار به الحول وأسرى
في سماء تعبر الشعرى وتدني كل شعرى[1]
كيف يلقانا وحيدين غدٌ فيه التقينا

***

قبل عام
ثم عام
كان يوم، أيّ يوم، في صفاء وابتسام،
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد الدوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

***

(١) الشّعرى : كوكب مضيء يظهر عند شدة الحر.

وتدانى

وكلانا

زائغ الطرفِ يناجي قلبـاً ولسـانـاً

ثم مـاذا؟ ثم كن يا بُعْـد لي قـربا، فكانا

واسـتـعـان الحب بالداء حليـفـاً فـالتـقـينا

***

كم غرام

وسقام

عـرفـا الحلف غلى غـيـر سـلام ونام

فـإذا مـا اجـتـمـعـا فـانتـزعـاني من مـقـامي

فـبـحـسـبي منهـمـا أنا شكونا فـالتـقـينا

***

يا فتاتي

يا حياتي

لا تراعي بعـد هذا من فـراق أو فـوات

قَـدَرُ الله كـفـيـل لك في مـاض وآت

كلمـا فـرّق شـملينا دعـانا فـالتـقـينا

***

جمال يتجدد

كلما قلتَ لي الربيع جميلٌ قلتُ : حقاً، وزاد عندي جمالا

عجباً لي، بل العجيبة عندي صور الكون كم يسعن كمالا

خلْتني قد وعيتهن عِياناً وتتبعت من وَعَوْها خيالا

شاعراً عاشقاً وقارىءَ كتْبٍ قرأ الكتب دارساً، فأطالا

فإذا نظرةٌ بلحظك تبدي صوراً ما طرقن عنديَ بالا

بِعِدادِ الانوار في أعين الحب نعد الأكوان والأجيالا

القُبلة

هي كـأس مَن كـؤس الخـالدينْ — لم يَشُبها المزج من مـاء وطين

كلمـا أفـرغـتَـهـا منتـشـيـاً — مُلئتْ من كـوثر الخلد المعين[1]

وإذا أمـــتـــعك الريّ بهـــا — بدأ الشـوق إليـهـا والحنين

قـد شـربناها مـعـاً في ليلنا — فـرَوِينا ، وافـتـرقنا ظامـئين!

(١) المعين : الظاهر الذى تطالعه العين وتراه.

حسرة متلفة

يا لـه مـن فـمٍ | يا لها من شفة !
يا لشَهد بها | كدت أن أرشفه
يا لزهر بها | كدت أن أقطفه
حلوةٌ ويحها ! | غضة مرهَفَة
حسرتي بعدها | حسرةٌ متلفة

الجسم الضاحك

ثغرك الضاحك، لا بل وجهــ ... ـك الضاحك، لا بل كل جسمكْ
لا بل الدنيـــا التي تو ... مض نوراً حــول نجـمكْ
هكذا فليبــسم البــا ... سم إن شــاء كـبـسمكْ
أو فَــيَنسى البِشْـرَ حتى ... ينقل البــشْــر، بلثــمكْ
لا يلام العــابس اليــا ... ئس إلا بعــد لـومكْ

بعد عام

كاد يمضي العام يا حلو التثني ... أو تولى
ما اقترينا منك إلا بالتمني ... ليس إلا

✲ ✲ ✲

منذ عرفناك عرفنا كل حسن ... وعذابِ
لهبٌ في القلب، فردوس لعيني ... في اقترابي

✲ ✲ ✲

غير أنا لا نرى الفردوس إلا ... رسمَ راسمْ
وشربنا من جحيم الحب نُهلا ... شرب هائم

✲ ✲ ✲

لا تلمني أنّ قلبي خانني ... أو عشقتُكْ
لم يكن منّيَ إلا أنني ... قد رأيتكْ

✲ ✲ ✲

كـــان في الدنيـــا جـــمـــال لا يُعَـــد ثم لُحـــتـــا

فـــعـــددنا الحـــسن طراً فـــهـــو فـــرد وهو أنتـــا

* * *

أين حـــــسنٍ كـــــان يجلوهُ النهـــــارُ هل لبســتَــهْ؟

هل ورثت الصــــبح والصــــبح مُنارُ أم قـــتلتـــهْ؟

* * *

تتـــــهـــــادى ويح قلبي في خطاك لـــســـتَ تـــدري

لــــســـتَ تـــدري أي نـــار إذ أراك ضِـــمْنَ صَـــدري

* * *

ضـــاحكاً يفْـــتَـــرّ نور البـــشـــر عنكا كـــيف تعلَم

أن قلبـــــاً دون قِـــيـــدِ الرمح منكا قـــــد تحطمْ؟

* * *

زده داءً لا شـــــــفى الله جـــــواه كم أســـــــاء

من دعـــاه للتـــصـــابي من دعـــاه؟؟ زده داء !!

* * *

أو فحسب القلب ماطَمٌ وأربى   لا تُبده

قد دعاه الله للحب فلبّى   لا تزده

* * *

نحن قوم يا حبيبي قد خلقنا   للجمال

إِن أجاد الله في الخلق أجدنا   في المقالِ

* * *

صاغنا الله لشدو وغناء   حيث كنا

ونهانا عن جمود وجفاء   فانتهينا

* * *

قال غَنّوا وصفوا خلقي البديعْ   في القصيدِ

واطلبوا أجركموُ عند الربيع   والخدودِ

* * *

ليس يُعْلي آيَ فنّي غيركمْ   حين تعلو

شكرها منكم ومنها شكركم   ذاك عدل

* * *

مـــالكم أجـــر من الدنيـــا ســـواه فـــاغنمـــوه
يـا ذوي الحــــــسن بـذا أوصى الإلـهُ فـاسـمـعـوه

***

قـــد وَفَـــيْنَا دَيْنَنَا فـــاوفـــوا الديونا هل رضيـــتم؟
وشـــدَوْنا فـــتـــعـــالَوا أســـعـــدونا لا شـــقـــيـــتم

***

مـــا أتمَّ العـــيشَ لو تصـــفـــو القـــوافي والـغـــــرامُ
شـــاعـــر يشـــدو ومـــحـــبـــوب يوافي والســـــلامُ

***

طلاء نفس

زرقةُ عينيكِ لا صفاءُ … فيها، ولكنه فضاءُ!

حمرةُ خديكِ لا حياءُ، … فيها، ولكنه اشتهاءُ!

قوامك الرمحُ لا اعتدالُ … فيه، ولكنه اعتداءُ![1]

يا حيرة القلب في هواه! … يا غاية العمر في مناه

وجهك سبحان من جلاه … ولوّث النفس بالطلاء![2]

* * *

حبك لا نعمة أراها … فيه، ولكنه جزاء

من في الصبا جرتُ في هواها!

من تلك مقبولة الدعاء؟[3]

أنت عقابي فهل كفاها … بَرْحُ شقائي أو لا اكتفاء!؟[4]

يا جنة حسنها عقابُ … يا خمرة عذبها عذابُ

متى متى ينطوي الكتابُ ؟

متى فراقٌ بلا لقاء!

---

(١) القوام الرمح : الشبيه بالرمح في الاعتدال والاستقامة. (٣) جُرتُ : جاوزت الحدّ وخرجت على المألوف

(٢) جلاه : صوره وأظهره في أبدع صورة. (٤) برح الشقاء : شدته وقسوة تعذيبه.

عيش العصفور

حطَّ على الغصن وانحدر ... أقلَّ من لمحة البصر

مغرداً قط ما توانى ... مرفرفاً قط ما استقر

يلمس أيكاً بُعَيْد أيكٍ ... كأنما يلمس الإبر[1]

مطارداً لا إلى طريد ... مسابقاً لا إلى وطر

كخفة الطفل في صباه ... لكنها خفة العُمُر

وروده نغبةٌ فأخرى ... من خوفِ الطائرَ الصدَر؟[2]

يقارب السُّحْبَ ثم يهوي ... يبشر الروض بالمطر

أصدق من سار في سرار ... بين الحيا العذب والشجر[3]

ويستحث الرياح ضرباً ... بخافقيه فتبتدر

لله ما أهول المطايا ... وأضعف الراكب الأشِر[4]

طار وليداً وطار شيخاً ... بين البساتين والغُدُر

لا أعين الماء ناضباتٌ ... ولا خلا الروض من ثمر

أخبرُ بالنضج مقلتاه ... ممن سقى الحب أو بذر

سله عن الجند والزمر ... سله عن المُلْكِ والسُّرُر[5]

---

(١) الأيك : الشجر الكثيف الملتف.

(٢) نغبة : رشفة قليلة.

(٣) الحيا : المطر.

(٤) الأشر : المرح

(٥) الزمر : جمع زمرة أي الجماعة والمقصود الأعوان. السُّرر : جمع سرير أي العرش.

لـم يـأتـه عـنـهـم بـلاغ ... ولا دليـل ولا خـبـر
هذا هو العـيش فـاغـبطوه ... عليـه يا أيهـا البـشـر

***

هذا هو العـيش فـارحـمـوه ... عليـه واستـخبـروا الغَـيـر[1]
فـإنِ سـألـتم فـسـائلـوه ... عن صولة الصقر إنِ كسـر[2]
وحـيلـة الدِّبْقِ في ثـراه ... وغـيلـة الحـيـة الذكـر[3]
هـنـاك ينـزو لـه فـؤاد ... لا يجـهـل الريب والحـذر
لم يخف عن أعينِ الليـالي ... ولا تـوارى من الصـغـر
حـبـائل الدهر قـانـصـات ... من طار أو غـاص أو خطر[4]
من عـاش يومـاً أو بعض يوم ... يعلم مـا ضـربـة القـدر
أليس هذي الحـيـاة ذخـراً ... وحـارس الذخـر في خطر؟؟

---

(١) الغير : صروف الدهر وأحداث الزمان.
(٢) إن صار كاسرا : أي منقضا على الفريسة.
(٣) الدّبق : الشّرك الذي ينصبه الصياد للفريسة.
(٤) خطر : مشي وهو يشعر بالتيه والكبرياء.

الوداع

معربة عن بيرنز[1]

قُــبلة بعــدها يطول الفــراق — وعناق، وليس بعــدُ عناق

سوف أبكيك والمحاجر شكرى — بدمــوع من الفــؤاد تراق[2]

سوف أُدعوك في الدجى بأنين — وزفير في الصدر منه احتراق

كيف يشكو من عثرة الجد ظلماً — مَن محيــاك نجمه الألاق[3]

بيد أني درجت في ظلمة اليأ — س فحَولي من الظلام نطاق

لست أَلحى على الهيام فؤادي — قــدَرُ الحب دفعه لا يطاق[4]

من رآها فكيف يسلو هواها — يعشق القلب إذ ترى الأحداق

آه لولا صبــابة وغــرام — قد شربناه والكؤوس دهاق[5]

ما غدونا ولي فؤاد كسير — وجبين سيــماؤه الإطراق

فسلاماً يا قرة العين والقلـ — ـب وأحلى من صورِّ الخلاق

حاطكِ الله بالسعادة والحب — ورواكِ مــاؤه الرقــراق

قُــبلةٌ بعــدها يطول التنائي — وعناق، أوَاهُ! ثم افــتراق

---

(١) القصيدة مترجمة عن الانجليزية.
(٢) شكرى : ممتلئة. تراق : تسكب وتنهمر.
(٣) عثرة الجد : خيبة الحظ وفشله. الألاق : المشرق المتألق.
(٤) ألحى : ألوم.
(٥) دهاق : ممتلئة.

النوم

أيا ملكاً عرشه في العيو ن يظلل دنيا الكرى بالجناح[1]

ضممت عليك جفوناً ترا ك أبرّ بها من وجوه الملاح

تُلم بأهدابها في الظلا م فتنسى جبين الزمان الوقاح

وتدني إلينا بعيد الرجا ء إذا الدهور مأطلنا بالسماح

أراك خلقت لنا هدنة تعاودنا في مجال الكفاح

إذا ما رفعنا سلاح الجلا د تُلمُ فنُلقي إليك السلاح

فتجمع بين الظباء الضعا ف وبين ليوث الشرى في وشاح[2]

ويجفو الحبيب فتؤتي المشو قَ من لذة الوصل ما لا يتاح

وتحرس أجسامنا في المها د وتخلي لأرواحهن السراح

تحلق بالروح بين النجوم مؤتلقات وبين البطاح

وتبعث طيف الزمان القند يم قد نام في لحده واستراح[3]

---

(١) الكرى: النوم. (٣) اللحد : القبر.
(٢) الظباء: الغزلان. ليوث الشرى: الشرى موضع اشتهر بكثرة الأسد فيه والليوث: الأسد.

وتســـبق بالحـــالمين الزمـــا	ن إلى زمن ســــره لا يبـــاح
كـــأن الرقـــاد أبٌ مـــشـــفقٌ	يعلل طـفـــــلاً أطال النواح
يلقّـــيـــه تمثـــال زُهْر النجـــو	م وكـان له في النجوم اقـتـراح
أمـــانيّ يحظى بهنّ النيـــا	م، وجِـدُ الحـيـاة شـبـيـه المزاح
ولو رام يسـعى إليـهـا امـرؤ	تقضّى به الدهور دون النجاح
إذا كــان عـيش الفـتى لا يدو	م فـهـزل المنام كـجِدّ الصـباحْ

زهريات
وردة محزنة

وردتي! فيم أنت ضاحكة	يلمح البشرَ منك من لمحا[1]
فيم هذا الجمال يحزنني	رونق فيه كان لي فرحا
كنت أهوى الورود أصلحها	ما لذكرى الحبيب قد صلحا
هو في نيتي هديته	وهو فوق الغصون ما برحا
وأخال القبولَ يرمقه	واضحاً فيه كلما وضحا
ثم ولى الهوى وأعقبني	نظراً ينكر النهار ضحى[2]
فإذا الورد غصّة وشجًا	يتراءى بالهجر لي شبحاً[3]
وإذا الزهر كاليتيم إذا	راق في العين حسنه جرحا
كان للحب زينة فغدا	أثراً فوق لحده طُرحا
الذبول الذبول أرفق بي	من رواء يزيدني ترحا[4]

(١) البشر : السرور.
(٢) أعقبني : أتبعني.
(٣) الشجا : ما يعترض الحلق من عظم ونحوه.
(٤) رواء : جمال وبهاء. ترحا : حزنا شديدا.

سيان

إن قيل بالحق أو البهتانِ

دعهم يقولون، وقل سيانِ![1]

سيانِ مهما افترق الضدان

سيان مهما اختلف الخَصْمانِ

سيان ألفٌ هي أو ألفْانِ

سيان بيدٌ هي أو مغان[2]

سيانِ نور أو ظلامٌ فانِ

سيان من يلهو ومن يعاني

قلها ببرهان ولا برهانِ

وأنت أنْتَ أحكم الزمانِ

وإن تَصَدُّوا لك بالنكران[3]

أو ضحكوا سُخْراً فقلْ سيانِ![4]

---

(١) سيان : مثنى سيّ : وهو المثل والنظير.
(٢) بيد : جمع بيداء أي صحراء. مغان : جمع مغنى: المكان الأهل بالحياة والناس.
(٣) تصدوا : تعرّضوا وقاوموا.
(٤) سُخرا : استهزاء وسخرية.

نفثة

ظمآنُ ظمآنُ لاصوب الغمام ولا عذب المدام ولا الأنداء تُرويني(١)

حيران حيران لانجم السماء ولا معالم الأرض في الغمَّاء تهديني(٢)

يقظان يقظان لاطيب الرقاد يُدا نيني، ولا سمر السُّمَّار يلهيني

غصَّان غصَّان لا الأوجاع تُبليني ولا الكوارث والأشجان تبكيني(٣)

شعري دموعي وما بالشعر من عوض عن الدموع نفاها جفنُ محزون

يا سوءَ ما أبقت الدنيا لمغتبطٍ على المدامع أجفانَ المساكين

هم أطلقوا الحزن فارتاحت جوانحهم وما استرحتُ بحزن فيَّ مدفون

أسْوانُ أسوان لاطب الأساة ولا سحر الرُّقاة من اللأواء يشفيني(٤)

سأمان سأمان لا صفو الحياة ولا عجائب القدر المكنون تعنيني(٥)

أصاحب الدهر لا قلب فيسعدني على الزمان ولا خل فيسأسوني

يديك فامحُ ضنىً يا موتُ في كبدي فَلستَ تمحوه إلا حين تمحوني

---

(١) الأنداء: جمع ندى.

(٢) الغماء : الشدائد العظيمة.

(٣) غصان : ممتلىء الحلق بالماء.

(٤) الأسوان: الشديد الحزن والأسى. الأساة: الأطباء والمفرد: الآسي.

(٥) المكنون : المصون والمحفوظ

أين الدموع

يا غزير الدموع! أين الدموعُ؟ كم تريد البكى وما تستطيعُ

كيف سلواك والفؤاد بما يُسْـ ـليه في فاجعاته مفجوع(١)

لهفَ نفسي عليك يا قلب يأبى فيك إلا الكُمونَ داء وجيع(٢)

عبراتٌ، بُرءُ الجوى لو أريقت، وسمام حتى تراق نقيع(٣)

كمنت فيك لا تفيض ولا تبر د فالصدر من شجاها صديع(٤)

لو جرت في السحاب أجفل أوياً زمُ عن سَبْحه الفضاء الوسيع(٥)

نضب الدمع أم مجاريه سدَّت أم فؤادي تاموره مقطوع(٦)

كلما رمت في الجوانح ماءً هاج للنار بينهنّ سطوع

---

(١) السلوى : العزاء.
(٢) الكمون : الاختفاء والتواري بعيدا عن العيون. الوجيع : الموجع
(٣) العبرات : الدموع. السمام : جمع سم. النقيع : المهلك.
(٤) صديع : متصدع، متهالك.
(٥) يأزم : يواظب علي الأمر ويلزمه. السبح : الجري الشديد. يقال للحصان السريع: سابح
(٦) تاموره : قلبه أو غلاف قلبه.

من يذق غصة الشراب فما بي غصة غير أن تفيض الدموع

إنما الحزن ريض ما استقى الد معَ وأندى الأحزان حزن رضيع

يحرق الجمرُ يابسَ الحطب الجز ل ويأبى الحريق لدنٌ مسريع

فيك يا حب كل هذا ؟ فبعداً لك داءً ترياقه ممنوع(1)

غمرات وخدعة وجهادٌ وسهاد وحسرة وولوعُ

(1) ترياقه : دواؤه.

متى!

متى يا عيون يعود الضياءُ؟ متى يا رياض يعود الربيع؟
متى تأمرين؟ متى تأذنين؟ متى تَقْبلين دعاء الشفيع؟

* * *

متي يرجع الغائب المرتجى إلى صدر أمٍ براها السقام؟
متي يهبط النوم تحت الدجى لعينيك يا ساهراً لا ينام؟

* * *

متى يطلع النجم للتائهين؟ وقد غرقوا في ليالي الخطوب
متى يجمع الشطُّ تلك السفين؟ وقد عاث فيها الخضم الغضوب

* * *

متى يأذن الجائعون الظما ء في الماءِ يطفىءُ حَرَّ الصدى
وفي الزاد يبقى ذماء الحيا ة، وفي الخمر يعلو بها مُصعدا

* * *

متى؟ إي وربِّك قل لي متى؟!   وسلهم عن اليوم والموعد
فقد يُقبل الزائر المرتجى   ولا من مُلاقٍ له في غد؟!

***

إليك مثال السؤال العجيب   وأنت بأحلى مثال تجود
عشيةَ تبسم عند الوداع   وتسأل : في أي يوم أعود!

الطير المهاجر

علمتني مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم

أتراني لا أسمع الطير إلا ... في رياضي معششاً لا يريم؟

رب شادٍ في هجرةٍ يتغنى ... وعليه السلام والتسليم

من جنوب إلى شمال، وحيناً ... من شمال إلى جنوب يحوم

فله حين يستقل وداع ... وله حين يقبل التكريم

خذ من الطير كلَّ يوم جديداً ... فسواء جديده والقديم

كم مُولٍّ وصفوهُ لا يُولِّي ... ومقيمٍ وصفوه لا يقيم

اليوم الموعود

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى	شوقي إليك، وما أشاق لمغنم؟
شوقي إليك يكاد يجذب لي غداً	من وكره، ويكاد يطفر من دمي
أسرعْ بأجنحة السماءِ جميعها	إنْ لم يطعك جَناح هذي الأنجم
ودعِ الشموس تسير في داراتها	وتخطَّها قبل الأوان المبرم
ما ضرَّ دهرك إن تقدم واحدٌ	يا يومُ من جيش لديه عرمرم
لي جَنّةٌ يا يوم أجمع في يدي	ما شئتُ من زهر بها متبسم
وأذوق من ثمراتها ما أشتهي	لا تحتمي مني ولا أنا أحتمي
وتطوف من حولي نوافر عُصْمها	ليست بمحجمة ولست بمحجم
وتلذُّ لي منها الوهاد لذاذتي	بتصعُّدٍ في نجدها وتسنُّم
لم آسَ بين كرومها وظلالها	إلا على ثمر هناك محرَّمُ
فكأنما هي جنة في طيِّها	ركنٌ تسلل من صميم جهنم

أبداً يذكّرني النعيمُ بقربها ... حرمانَ مزءودٍ[1] وعُسرةَ معدم

وأبيتُ في الفردوس أنْعم بالمنى ... وكـأنني من حسرةٍ لم أنْعَم

***

يا يوم موعدها ستُبْلِغُني المنى ... وتُتمُّ لي الفردوس خيرَ مُتَمَّم

لا غصن رابية تقصَّر راحتي ... عنه، ولا ثمر يعز على فمي

سأظل أخطر كالغريب بجنتي ... حتى أثوب على قدومك، فاقْدُم

فأبيتُ ثَم إذا احتواني أفقها ... لم أنْهَ عن أمل ولم أتندم

فرحي بصبحك حين تشرق شمسه ... فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم

***

أمعيرتي خلد السماء سماحةً ... صونيه عن ولهٍ صيانةَ مكرم

رفقاً بخلدك أن تشوبي صفوه ... إنْ لم تريْ رفقاً بمهجة مغرم

(١) المزءود : الشديد الفزع.

يومُ الظنون

يومَ الظنون صدعتُ فيكَ تجلُّدي ... وحملتُ فيك الضيم مغلولَ اليد[1]

وبكيتُ كالطفل الذليل أنا الذي ... ما لان في صعب الحوادث مِقوَدي[2]

وغصصتُ بالماء الذي أعددته ... للري في قفز الحياة المجهدِ

لاقيتُ أهوالَ الشداء كلها ... حتى طغت فلقيت ما لم أعهد

نارَ الجحيم إليَّ غيرَ ذميمة[3] ... وخذي إليك مصارعي في مرقدي

حيرانَ أنظر في السماءِ وفي الثرى ... وأذوق طعم الموت غيرَ مصرَّدِ[4]

أروَى وأظمأ عذبُ ما أنا شاربٌ ... في حالتيَّ نقيعُ سم الأسوَدِ[5]

وأجيل في الليل البهيم خواطري ... لا شارقٌ فيه ولا منْ مُسعدِ[6]

وتعيد لي الذكرات سالف صبوتي ... شوهاء كاشرة كما لم أشهد

---

(١) مغلول اليد : مقيد اليد.

(٢) المقود : الزمام.

(٣) نار الجحيم إليّ : تعاليْ إليّ وأسرعي.

(٤) المصرَّد : الشراب الذي لا يعقبه ارتواء.

(٥) سم الأسوَد : سم الثعبان.

(٦) البهيم : المظلم.

مُسختْ شمائلها التي سعدت بها ... وبدت بوسْم في السعير مخلّد

يا صبوة الأمس التي سعدت بها ... روحي، وليت شقيُّها لم يسعد

وعرفتُ منها وجهَ أصبحَ ناضرٍ ... ورشفت منها ثغر ألعَس[1] أغيد

سُومحت بل جوزيت كيف وعيت لي

بالأمس فيك ضراوة الذئب الصدي[2]

سُومحت بل جوزيت كيف طويت لي

زرق الأسنّة في الإهاب الأملد[3]

أمسيت حربي في الظلام وطالما ... جلّيت لي وجه الظلام المربد

ورجعت أهربُ من لقاك وطالما ... ألفيتُ عندك في الشدائد مقصدي

ما كان من شيء يزيد تنعُّمي ... إلا يزيدُ اليومَ فيك تلددي[4]

أواه من أمسي ومن يومي معاً ... والويل من طول التردد في غدِ

(١) الألعس : الأسمر الشفة : وهي سمرة مستحبة. (٣) الأملد: الناعم والطري.
(٢) الصدي : المتعطش إلى الدماء. (٤) تلدّدي: عذابي وشقائي ومعاناتي.

أهبُ الخلودَ كـرامـةً لمبـشـري أن ليس يومي في العذاب بسرمد[1]

وأبيع حظي في الحـيـاة بساعـة أنسى بهـا عـمرى كـأن لم أولدِ

وأسوم مرعى العيش غير مزوّد وأرودُ روْضَ الحسن غيرَ مقيّد[2]

(١) السرمد : الخالد والمستمر إلى الأبد.
(٢) أسوم مرعى العيش : أمارس الحياة وأعيش أحداث الزمان.

غيرة طفلة

ما كان أملح طفلة ... من غير شيء تخجلُ

ضاحكتها فتمايلت ... وشعورها تتهدلُ

ورجوت منها قبلةً ... فأبت كمن يتدلل

وتعبت وهي تصدُّني ... حيناً وحيناً تقبل

فرفعتُ مرآة لها ... فتطلعت تتأمل

قلت انظري في وجهها ... أفأنت أم هي أجمل

قالت وفيها غضبة ... أنا بالملاحة أمثل

ومضت تقول إلى متى ... تنسى الجميل وتجهل

وأقول ايكما إذن ... أدعو بها فأقبّل؟؟

عطفت عليَّ وكل محبو ... ب يغار فيسهل

تبكين

تبكين! والهفَ الفؤاد يذيبه ... ذاك الحنين يذوب في خديك
أيراك باكية وأنت ضياؤه ... ونعيم عيشي كله بيديك؟
وعزيزةٌ تلك الدموع فليتها ... يقنو قُطيرتها نظيم سُلَيك
لملأت ثمّ يدي بأكرم جوهر ... من عطف قلبك فاض من عينيك

* * *

لو أستطيع جمعت كل ذخيرة ... في الدهر من ضحك يروق لديك
ونغمت أطربَ شدوه وجعلته ... بين الكؤيس العذب من شفتيك

فيضج مزدهياً بفيك وتنتشي ... فرحاً قلوبُ الناظرين إليك
ما أحسن الحسن المهذب ضاحكاً ... وأحب جلباب السرور عليك

* * *

والله ما ضنَّ السرور وما ونى ... يَشتاق هزته على عطفيك
لو شئت كل مسرة مبذولة ... لجثت مسرات على قدميك

إلى ربة الحب
الزُّهَرَة

فريدةَ الأفق أسعديني ... وخالسي النجم وارمقيني

وسلسلي النور صوبَ عيني ... وعن شمالي وعن يميني

أشعةٌ ينبثقن شتى ... كأنها عذْق ياسمين[1]

أراك تغوينني بوحيٍ ... إلى السموات يزدهيني

إغواءَ ذات الدلالِ صينت ... في ذروة المعقل الحصين[2]

فهل سبيلٌ إليك يُبغى ... وأنت أعلى من الظنون؟

***

فيك ضلال وفيك رشد ... فضلليني وأرشديني

بين وجوه تضل من لا ... يضل في ضوئها المبين

كوني مناراً فالحب بحرٌ ... قلوبنا فيه كالسفين

لما تجليتِ لي استضاءت ... خواطري وانجلت شجوني

يا طالما تخدع الدرارى ... لواحظ الشاعر الحزين

(١) العذق : الفرع والغصن من الشجرة

(٢) المعقل الحصين : القلعة المنيعة.

طلعة الحلم

يا طلعة الحلم متى ألقاكِ؟   فداكِ كل طلعة فداكِ

ما النور من شمس ولا أفلاك   جلاكِ لي، كلا، ولا حلاكِ

أنت ارتفعت بي إلى علاك   وهبتني نوراً به أراكِ

لو لم أكن أصغي إلى خُطاك   قلتُ خيالٌ من قوامٍ زاكِ[1]

في لجة النور بدا يُحاكي   صورتَه في عالم الأملاك[2]

في معزل عن ضاحك وباكِ   فوق غرام النفس مشتهاكِ

إذا المنى حامت على ذُراك   فإنما تصبو إلى معناك[3]

وبالتسابيح تمنيناك   وكل حسن يُشتهَى سواكِ

تعالياً عن تلكم الشباكِ

حاشاك من دنيا الهوى حاشاكِ

---

(١) زاك : جميل ومتألق.
(٢) ذراك : قممك العالية.
(٣) اللجّة : الموجة العاتية، ولجة النور : النور الغامر.

خواطر وهواجس

يوم ميلادي

يومَ ميلادي تقدمْ | وتأخَّرْ ... وتكلم
لا تقل لي قبل عام | كيف كنا، أنا أعلمْ
لا تقل لي بعد عمري | كيف نُمسي، لستَ تعلم
غاية الأمر أظانـ | ـينُ، وبعض الظن يأثم[1]
سوف نمسي مثل ماكنـ | ـا، ولم نولد ونُفطم
إن يكن ذلك شيئاً | لستُ بعد الموت أعدَم
أو يكن ليس بشيء | أترى «لا شيء» يندم؟!
أيُّهُ الحالين قل لي | بعد طول العمر أسلم؟!
تظلم الموت إذا قلـ | ـت ظلومٌ ليس يرحم[2]
نحن لا بالموت أُعْطِينا | ولا بالموت نُحرم
من يَعُدْ يوماً كما كا | ن فقد تمَّ وتَمَّم
صفقة الأعمار فيها | قلة الخسران مغنم

---

(١) أظانين : جمع ظن. (٢) ظلوم : كثير الظلم.

إلى الشفاه لا إلى الآذان

فـــيم أروي لكِ شـــعــــري؟   أنـــــا أدرِي، أنـــــا أدري

* * *

أنـا أدري يا فـــــتــــــاتي   حـــيث ألقي بالأغـــــاني

إن شــعـــري ســمــعــتــهُ   شــفــتــانِ .. شــفــتــان !

ها هنا ســـــرب إلي القلـ   ـب الذي أعنيــــــه دان

* * *

رفَّ شــعـــري حـيث رفَّت   بالأمـــــاني قــــبـــــلاتي

وتصــــفَّــــحت صـــداه   قـــبـــســــاً في الوجنات

هو من ثغـــر فــتـــاتي   وإلى ثغـــر فـــتـــاتي

* * *

فـــيم تســـعى رحلتي بيـ   ـن المعـــــــاني وتطـولُ

ها هنا الشــعـــر وموحي الـ   شــعـــر يصــغي ويقـــولُ

كل إصـــغـــاء لعـــمــري   بين هذين فـــضــــولُ

نفثة

غـــرّبوا قلبي وهم وطن ... ومضوا عني وما ظعنوا[1]

واستقلوا حيث لا رُسل ... تبلغ المسعى ولا سُنَن[2]

هجروا والهجر مبعدة ... ليتها تجتابها السفن

أين منا دار وصلتهم؟ ... قربت لو أنها مدن!

دارهم لا قُوضت أبداً ... غُـرة في ظلها سكنوا

غـِرّةٌ في الحسن تبعدنا ... وبها في الحسن نفتتن

أين لا أين القرار بنا ... آذنوا بالبين أم قطنوا[3]

دارهم من حيثما نزلوا ... قنة تعنو لها القنن[4]

أي فردوس علمت به ... لم يحطه الموت والإحن[5]

هذه الجنات نبصرها ... هل لنا في بعضها وطن؟

* * *

(1) ظعنوا : رحلوا وسافروا.
(2) سُنن : علامات وسُبل.
(3) البين : الفراق . قطنوا : أقاموا.
(4) القنة : أعلى الشيء وقمته.
(5) الإحن : جمع إحنة : البلاء الشديد.

مـــا لكم يا روضَ أنفـــسِنا لا يقـينا شـمـسَكم غـصن؟
لو علمـــتم مـــا نكابده لانَ منكم جـــانب خـــشن
رحــمـــةً يا من نهــيم به وهو يقـــــلانا ويطـطغن
هل علمتَ الجـمـر مفـتـرَشاً والصلالَ السـود تُحـتـضن(١)
ذاك أو حــمى تَضَــمَّنهـــا جـسدٌ واهي القـوى ضـمِن(٢)
تتلقـــاه بصْـــرعـــتــهـــا فـــيــحـــار الموت والوهن
بعض مـــا نلقـــاه من شـــجن بك والنـوام قـــــد سكنوا
عندمـــا يخلو الظلام بنا حـــــيث لا عين ولا أذنٌ

* * *

زمنى جــــوزيت يا زمني أي بأس فـــيك لا يهـن(٣)
مـــا الذي أبقـــاه لي زمني غـال صـفـوي كله الزمن(٤)
ليس لي في مـــبـــصَـــر أمل كل شيء فــيـــه لي شـجن
لا أرى في القـبيح من حـــسن فلمـــاذا يقـــبح الحـــسن

---

(١) الصلال : الحيّات.
(٢) ضمن : مريض وعليل.
(٣) لا يهن : لا يضعف.
(٤) غال : بدد وقضى على.

شـاهت الأوصـاف في نظري   سـرها المخـبـوء والعلن[1]

مـا الأمـاني؟ إنهـا خـدع   مـا الغـواني؟ إنهـا دِمَن[2]

مـا الصـداقـات التي زعـمـوا؟   إنهـا البـغـضـاء تؤتمن[3]

مـا العـلا؟ مـا المجـد؟ في أمم   مـجـدها بل ربهـا وثـن[4]؟

مـا السـجـايا الغـر وا أسـفـا   إنـهـا حـلـم ولا وسـن[5]

بل سـل الأقـدار إن نطـقـت   مـا حـيـاة شـأوها بدن

نشـتـري أنفـاسـهـا قطعـاً   وهي نعطيـهـا ولا ثمن

أقـصـارى الطرف من نظر   رؤية بالويل تقـتـرن؟[6]

والعـمى رزء وإن وضـحـت   في ضـيـاء المبـصـر المحن

ضل عـقـل لا ترفـهـه   نـشـوة تطفـو بما يزن

إنما يشـقى الفـؤاد ومـا   شـقـيت إلا به الفطن[7]

---

(١) شاهت : قبحت.
(٢) الدمن : جمع دمنة ، الأثر المتخلف من الديار.
(٣) البغضاء : شدة الكراهية.
(٤) وثن : صنم.
(٥) السجايا الغرّ : الأخلاق والطباع الكريمة.
(٦) القصارى : الغاية والمنتهي. الطرف ، البصر.
(٧) الفطن : العقول.

عهد بين عامين

أحـــبّكِ في الســنة الآتيـــة ... كـحـبـيك في السنة الماضيـة
ويكبـــر شـــوقي بطول المدى ... كـمــا تكبـر الدوحـة الناميـة
«سـعــاد» ويا حسن هذا الند ... اء إذا مـا وجدتك لي صـاغيـة
نـسـيتُ التـــواريخ إلا التي ... تعــــود بذكــــرك لي راوية
فـــأنت الزمــــان وأنت المكا ... ن وأنت غنى النفس يا غـانيـة
ولست أعـــدُّ حســــاب السنـ ... ـين بالشـمس طالعـة خافـيـة
ولكن بوجـهك لي مــقـبــلاً ... ونظرتك الحلوة الســاجـيـــة
فـــيــوم الرضى عـــالم حــافل ... من الحب والذكــرة البــاقــيـة
ويـوم النـوى عـــــالم مظلم ... تَضل الشـمـــوس به هاوية

***

دعي النـاس يحـيـون أيامــهم ... ويَلْهـونَ بالضــجــة الخـاوية
فـعــيـدي بقـربك لا ينقـضي ... وأعـــيـــادهم كلهـــا فـــانيـة
إذا انتظروا العـــام لم أنتظر ... سوى لمحــة منك لي كـافـيـة
فـهـاتي سـرورك لي صـافـيـاً ... وجـودي بأعـيـادك الغـاليـة
ودمت لعــبــاســك المرتضى ... ومتّعت بالحسن والعـافيـة[1]

---

(١) عباسك المرتضى: يقصد الشاعر نفسه.

صوت من السماء

لمـــا رأتــنــيَ أهــلاً	لأن تراني مــحــبـا[1]
وأرســلــت لــيَ نــوراً	من قلبهـا الرحب رحبا
رُدت إليَّ حــيــاتي	روحـاً وجـسـمـاً وقلبـا
وأخصَب الشعرُ عندي	وكـــان بالأمس جــدْبا
لا بل علمتُ يقــيـناً	علمـاً مع الروح شــبـا
بأن للحب صــوتـا	من الســمــاء يُلبّى
وأن للعــيش مــعنى	وأنّ لــلــكــون ربّـا

(١) أهلا : مستحقا وجديرا.

الحان والمسجد[1]

تريدين أن أرضى بك اليومَ للهوى   وأرتاد فيك اللهو بعد التعبيد

وألقاك جسماً مستباحاً وطالما   لقنيتك جمّ الخوف جمّ التردد

رويدك إني لا أراك مليئة   بلذة جثمان ولا طيب مشهد

جمالك سم في الضلوع وعشرة   ترد مهاد الصفو غير ممهد[2]

إذا لم يكن بد من الحان والطلى   ففي غير بيت كان بالأمس مسجدي[3]

(١) الحان : مكان شرب الخمر.
(٢) مهاد الصفو : السرور المهيأ والمتعة الجاهزة.
(٣) الطلى : الخمر.

كلماتي

كلمـــــاتي ! كلمـــــاتي ! صـدق الوعـد فـهـاتي
هل مـعـيني وحـيك الصـا دق أو وحـي اللـغـــات؟
أنا أستـأديك[1] مـا لم تبلغـيه بأداة
من مـعـان تتـعـالى عن لسـان ولهـاة[2]
فـاسـألي الأرباب عن تلـ ـك المعـاني الخـالدات
أوسلي الصـمت فكم صمـ ـت له علم ثقـات
ينتـهي شـأو الأحـاد يث إليـه والـرواة
وبـه لاذ هـداةٌ عـرفـوا وحي النجـاة

* * *

انظري يا كلمـاتي وأصـيخي في أناة
مـا ضـيـاءٌ ثَم في الأفـ ق، وفي كل الجـهـات

(١) استأداه الشيء : طلب منه أداءه.
(٢) اللهاة : لحمة مشرفة على الحلق.

لا مـــن الارض ولا مـــن دارة الأفـــــــلاك آت

لا تراه غـــيـــر عـــيـنـي وهـو مـلء الـكـائـنـات

هل يرى الدنيـا امـرؤٌ لم يـر منـه قـبـســات؟

كـلـمـــــاتي أنت في وا د من التيـه شـتـات[1]

اســـألي الأرباب عـنـه أو سلي الصـمت وهاتي

* * *

كلمـــاتي مـــا تقـــول بين إذن يا كـلمـــــاتي

مـــا نعـــيمٌ يمنح الـكـ ف غـــذاء المهـــجـات

تقـــصـــر الألبـــاب عنه وهو بعض اللمـــسات

في يدي أدعـوه خـصـراً تـــــارةً أو زهــــرات

في فـمي أدعـــوه ثغـراً تارة أو قـــبــــلات

وفؤادي؟ مـا اسم مـا فيـ ـه إذن يا كـلمـــاتي

اســـألي الأرباب عنـه أو سلي الصـمت وهاتي

* * *

(١) الشتا : المتفرق.

نشـــواتٌ تلك ؟ لا بل — تلك فـــوق النشـــوات

يـقـظـات تـلـك؟ لا بـلْ — تلك غـيـــر اليـقـظات

بلغت منهـــا مـــداها — وارتقت مـــرتفـــعـــات

تسلس اليـــقظة للوصـ — ـف وتصـــغي وتؤاتي

فـــإذا جـــازت مـــداها — لزمت صـــمت السـبـــات

كلمـــاتي ! مـــا تقـــولـ — ـين إذن يا كـلـمـــــاتي

اســـألي الأرباب عنهـــا — أو سلي الصـــمت وهاتي

***

لحـظـــة تمـــنح قـــلـــبـي — كل هاتيك الهـــبـــات؟

لحظة ترفع عـــمـــري — حـــقـــبـــاً مـــتـــصـــلات؟

ربَّ عـــمـــر طال بالرفـ — ـعـــــة لا بالسنوات

لحـظـــة ؟ لا بـــل خـــلـــود — لاح بـين الـــلـحـــظـــات

كـــالســـمـــاوات تراهـــا — من شـــبـــاك الحلقـــات

ربَّ آبـــاد تجـــلـــتْ — من كـــوى[1] مـــخـــتلفـــات

(١) جمع كوة وهي فتحة في الحائط.

وقُطيـــرات زمـــان ملأت كـأس حـيـاة

وإذا مــا طغت الكأ س فــقل في السكرات!

سكرة تُغـشي وأخـرى تغـتلي بالصحوات[1]

هكذا بتنا رفــيــقـ ـين لزيمَيْ لشــمـات

غــائبٌ غــافٍ، وصــاح لخـفيف الهمسـات

كلمـاتي. مـا تقـوليـ ـن إذن يا كلمـاتي

اســـألي الأرباب عنا أو سلي الصمت وهاتي

* * *

أيـن أمـــلاكٌ عـلى أبراجـهـا المطلعـات

تصـقل الآفـاق في الليـ ـل وتجلو النيِّـرات[2]

لا أرى الدنيـا على نو ر الليــالي الغــابرات

أيـن؟ لا بل ندع الدنيـ ـا وراء الحـجـرات

نورنا الليلة مـصـبـا حٌ وليـدُ اللمحـات

غض جـفنيـه حـيـاءً من غـضيض النظرات

(1) تغتلي : تزيد وتشتدّ (2) النيرات : الكواكب والنجوم المضيئة

شــفــقـيــاً أو فـقـل إن	شـئت فـجـريّ السِّـمـات
عـسـجـداً بارك حـسـناً	عـسـجـديٌ البـركـات[1]
سـبـحتْ عـيني ونفـسي	ويدي في غـمـرات[2]
في كـنوز منهـمـا أيٍّ	كنوز مـغـنيـات
ثـروة أنـفـق منـهـا	لحـيـاتي ومماتي
ولبـعـثي يوم أن تُبـعـ	ـث في الطرس وَصـاتي
كلمـاتي ! مـا أراك اليـ	ـوم إلا خـبـاذلاتي
عـنـك أغـنـتـني كـنوزي	وكـنوزي ملـهـمـاتي

* * *

سـمـعـتني كلمـاتي	واسـتـعـادت دعـواتي
ثم قـالت في حـيـاءٍ	كـالعـذارى الخـفـرات
باح لي الصـمـت ولكن	فـاتني أيٌ فـوات
قـال سـامـوك عـسـيـراً	في التـمـني يا بنـاتي
ارجـعـي، ثم أعـيـدي،	ثم عـودي صـاغـيـات

(١) العسجد: الذهب. (٢) الغمرات: جمع غمرة وهي الشدة والحادثة الشديدة.

مــــرة أو عـــــشـــــرات وإذا اسطعت مــئــــات
مــــا بدرسٍ واحـــــد تُو فين هاتيك الصــفـــات
هكذا يا شـــاعــــري ألـ ـهمني الصمت فـهـات
هاتهـــا وافـــرح بإحــســ ـاني وراقب حـــسناتي
لا يبـــوح الصـــمت إلا درجـــــاتٍ درجـــــاتِ

* * *

كلمـــاتي ! صـــدق الصـــمـ ـت، أجل يا كلمـــــاتي
غـــيــر أني لا أعـــيــد الأ مسَ إلا بـصـــــــلاة
مـــرجع الأمـــر لمن ضـمـ ـت رجـــائي وشكاتي
يملك العـــودة من أحـيــا ـــن الأرض المـــوات
فـابعثي الصمت إليـهـا في خـــشـــوع وتقـــاةِ
ربمـــا أعـــطــتْ وإن لـــم تســـألي يا كلمـــاتي

خواطر في شؤون الناس

القدريشكو

صغير يطلب الكِبَرا وشيخ ودَّ لو صَغُرا

وخالٍ يشتهي عملا وذو عمل به ضجرا

ورب المال في تعب، وفي تعب من افتقرا

ويشقى المرء منهزما ولا يرتاح منتصرا

ولا يرضى بلا عَقِب فإن يُعقبْ، فلا وزرا[1]

ويبغي المجد في لهف فإن يظفر به فترا[2]

ويخمد إن سلا، فإذا تولّه قلبه زفرا[3]

فهل حاروا مع الأقدار أوهم حيروا القدرا!

شكاةٌ ما لها حَكَم سوى الخصمين. إن حضرا

(١) الوزر : المعونة والتأييد.

(٢) فترا : سكن وهمد وانطفأ.

(٣) توله : اشتعل بالعاطفة.

كواء الثياب
ليلة الأحد

لا تَـنَـمْ، لا تـنـم إنّهم ساهرون
سهروا في الظلم أو غَفَوا يحلمون[1]
أنت فيهم حكم وَهُمُ ينتظرون
في غدٍ يلبسون! في غدٍ يمرحون

* * *

كم إهاب صقيل يا له من إهاب[2]
وقوام نبيل في انتظار الثياب
وحبيب جميل يزدهي بالشباب
كلهم يَحْلُمُون ! في غد يلبسون

* * *

أسلموك الحُلل كالربيع الجديد[3]
في احمرار الخجل أو صفاء النهود
تُشتهى بالقبل لا بِمَسِّ الحديد[4]

---

(١) غفَوا : ناموا.
(٢) الإهاب : الجلد والبشرة.
(٣) الحلل : جمع حلة يقصد بها الثوب والرداء.
(٤) مسّ الحديد : يقصد حديد المكواة.

يـا لـهـــــا مـن فـنّون   بـهــجـــة للـعــيــون

* * *

طُويت كـــالـعـــجـين   فـاطْوِ فـيـهـا الجـمـال

لمســـة بـالـيـــمـين   عـطـفــة بـالـشـــمـــال

والعـــجين الـثـــمين   في اسـتـواء «المِثـال»

فـيـه مـاسَتْ غـصـون   مـن جـنـاهـا الجـنـون

* * *

زد نـصـيـب الحـبـيـب   مـن هوى وابـتـســـام

بـالكـســـاء القـشـيـب   رفّ حــول القَـــوَام

لك فــيــهـم نـصـيـب   غــيــر كيّ الغــرام

عـنـد بَرْح الـشـجـون   هُمْ هُمُ المكتـــوون[1]

* * *

الـضـــرام اتـقـــد   في المكاوي الشـــداد

هـل خــبـــا أو بـرد   أو عـــلاه الرمـــاد ؟

ذاك يـوم الأحـــــد   أيـن مـنـك الرقـــاد

إن قــضـيـت الديون   كـلّ نـارٍ تـهـــون[2]

---

(١) بَرح الشجون : لهيب الأشواق ونار المعاناة.   المكتوون : الذين يعانون شدة الوجد والهيام.

(٢) يقصد برد الديون : إرجاع ما يكويه من الثياب لأصحابه.

* * *

أنا مـــصغٍ إليك	في الظلام الطويل
سـامع من يديك	كلَّ ضـرْبٍ ثقيل[1]
ناظر مَـوْقـدَيْك	منذ غـاب الأصيل
بين غـمض الجفون	واطّـراد السكون
يا أخـا الفن لا	تَدْعُـهـا بالثيـاب
وارْقَ منهـا إلى	ما احتوتْ من شباب
وجـمـالٍ حـلا	وحيـاة عُـجاب[2]
وتـفلسف على	ما احتوت من رقون[3]
تَـخـيَ بين الأولى	خلفها يختـفون
تَلْقـهم يهـمسـون	وهم صـامتـون
والليـالي تهـون	والكرى والمنون[4]

---

(١) الضرب الثقيل : يقصد به وقع المكواة وهو يحركها على الثياب والنار والضرب الثقيل أيضا مصطلح في الموسيقى العربية.
(٢) العجاب : العجيبة، المثيرة للفكر والتأمل.
(٣) الرقون : وسائل الزينة والأصباغ التي يتجمل بها النساء.
(٤) الكرى : النوم. المنون : الموت

القمة الباردة

للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة. فإذا نظر الإنسان إلي حقائق الأشياء لم ير شيئاً ولم يشعر بشيء لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلي حركة متشابهة في كل ذرة. فخير له ألا ينظر إلي الحقائق كل النظر ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض، لأن الحي لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتدركها البديهة، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلي قمتها الباردة التي لا يشعر فيها بحياة.

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى	فإياك والقمةَ الباردة[1]
هنالك لا الشمس دوارة	ولا الأرض ناقصة زائدة
ولا الحادثات وأطوارها	مجددة الخلْق أو بائدة[2]
قوالب يلتذ تقليبَها	أناسٌ وتبصرها جامدة
ويعجب قوم بترقيشها	وألوانها أبداً واحدة[3]
وتعلو وتهبط جدرانها	وآساس جدرانها قاعدة[4]
ويا بؤس فانٍ يرى ما بدا	من الكون بالنظرة الخالدة
فذلك رب بلا قدرة	وحَيٌّ له جثة هامدة

(١) الذرى : جمع ذروة وهي القمة العالية. (٣) بائدة : زائلة وهالكة.
(٢) الترقيش : التزيين والتلوين. (٤) آساس : جمع أسّ وهو قاعدة البناء.

إلى الغور!! أما ثلوج الذرى فلا خير فيها ولا فائدة[1]

* * *

يا ربة الحب كلمـــــيني إني علـي طورك المكين

أو فاهمسي لي باللمح سراً همس فطين إلى فطين

أدين بالحب فهـــو دين لكل من دان باليـــقين

وربَّ ليل سما جبيني إليك يا قبلة الجـــبين

أذكــر أعيـــادك اللواتي أسهرنَ ما شئن من جفون

من شادنٍ بالزمان يلهـو عَلَّمْتِـهِ لوعةَ الفتـون

أو طفلة بالصبا لعوب أورثتها فرحة الغبين

والناس إلا بَنيكِ غاصوا في لجة النوم والسكون

فليس إلا خفوق قلبٍ يكاد ينشق بالوتين[2]

أو زفرة من فؤاد صب يعارض السجع بالأنين

أو والهٌ قائم يصلي إليكَ بالمدمع الهتون

أو بث خِلين في عناق حنًا إلى الوصل بعد حين

---

(١) الذرى : القمم.
(٢) الوتين : الشريان الرئيسى الخارج بالدم من القلب لتغذية الجسم.

أو نسمات الصباح تسري ... من الروابي إلى الحزون[1]

تحمل نفح الرياض شتى ... من كل زهر على الغصون

تندسُّ بين الشمار فجراً ... كاللص في هجعة العيون[2]

تكتم أنفاسها وتخشى ... من لفتة الغصن والطنين

* * *

وربَّ ليل سمعت فيه ... من فمك الساحر الامين

مقالة بعضها جنون ... والبعض شرٌ من الجنون

«إن زمان الشباب ليل ... فاقضوه في اللهو والمجون

لا تنقصوا ليله بنوم ... كفاكمُ نومة المنون

تمتعوا بالشباب وامضوا ... كما مضت غابر القرون

سترجع الكأس فاحتسوها ... إلى مدير بها ضنين

تديرها بعدكم يداه ... آهٍ من الغادر الخؤون

والشيب صبح، إني لأخشى ... عليكمُ بغتة الأذين[3]

فنادموني من قبل يوم ... يؤودكم أن تنادموني»[4]

---

(١) الحزون: جمع حَزَن أي الأرض الوعرة الخشنة. (٣) الأذين: الحاجب، والمقصود به هنا: الموت.
(٢) هجعة العيون : نومها ورقادها. (٤) يؤودكم : يشق عليكم ويصعب.

بيت يتكلم

كل بيت من البيوت التي تعاقب عليها السكان لو ألقيت عليه طِلَسْمَ الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان، ولسمعت عجباً لا تسمع الآذان أعجب منه، وليس الذي يتحدث به «البيت» في القصيدة التالية إلا قليلاً من كثيره :

جميع الناس سكاني ... فهل تدرون عنواني؟

وما للناس من سر ... عدا آذان حيطاني

حديثي عجب فيه ... خفايا الإنس والجان

فكم قضَّيتُ أيامي ... بأفراح وأحزان!

وكم آويت من بَرٍّ ... وكم آويت من جان![1]

فإن أرضاكمُ سري ... فهاكم بعضَ إعلاني

* * *

بني الإنسان لن أحفل في دهري بإنسان

---

(١) البر : الصالح والتقيّ. الجاني : الآثم والمذنب.

ألم أعْرفْكُمْ طرا	فلم أسعد بعرفاني؟
أتاني أول السكْنِ	وما استوفيت بنياني[1]
وما أرهفت آذانا	ولم آنس بقطان[2]
وأصغيت على مهل	فطاشت كل آذاني
هما زوجان، أو شيطا	نة لاذت بشيطان
وقد عاشا وفيين	بتقدير وحسبان
وراحا - هكذا يحكو	ن - في روح وريحان
وما أبصرت من هذا	ولا من تلك في آن
سوى خوانة خر	قاء تفري عرض خوان[3]
إذا ما ضحكا يوما،	على غش وبهتان
حسدت البيد والأطلا	ل في غيظي وكتماني
وأشفقت من النقـ	ـمة أن تهتز أركاني

---

(١) السكْن : السكان.
(٢) قطان : جمع قاطن أي ساكن.
(٣) تفرى : تشق وتفتت.

* * *

وجاء الساكن الثاني	وبئس الساكن الثاني

يراه الناس ذا مال	وأفراس وغيطان

وقد شوهني بخلا	وأعراني وأعياني

وقد صيرني سجنا	ومنه كان سجاني

فلما طال بي عهداً	ولم أسعد بهجران

وَدِدْتُ لو أنَّ لي في	كلٍّ جحز أَلْفَ ثعبان

بديلا منه أرضاه	وأحبوه بغفراني

وأنفث سمَّها أو يتـ	ـقي شري ويخشاني

إلى أن آده أجري	ولم يظفر بنقصان[1]

فأخلاني، ولن أنسـ	ـى سروري يوم أخلاني

* * *

وكان الساكن الثا	لث ذا عز وسلطان

---

(١) آده : أثقله وأعجزه.

فما ارتبت بأنَّ العـ ـز والذلة سيان

وما ألفيته إلا لئيماً جد غفلان

ضعيفاً يستر الضعـ ـف بطغيان وعدوان

وكم أذعن للطاغي عليه شر إذعان

إذا ما لقي النا سَ يكْبِرِ منه طنان[1]

فما أصغر ما ألقـ ـاه منه بين جدراني

* * *

وأما رابع القوم فذو علم وتبيان

حشا بالورق اليا بس والأخضر حيشاني

فما لي موضع في الأ رض أو من فوق عمدان

وما لي مطبخ أو مخد ع أو بهو ضيفان[2]

ولا زاوية إلا وفيها الكتب تلقاني

أبى للنفس دعواها ولم يسمع لجثمان

(١) الطنان : الذائع والمبالغ فيه.
(٢) ضيفان : ضيوف.

فلا سهرة أحباب ولا جلسة ندمان

فما أجهله بالخلق ذاك العالم العاني!

أبين الناس يحتاج إلى علم وبرهان؟

وهم عميان ظلماء سروا في إثر عميان؟

كثير لك يا إنسان في دنياك عينان!!

* * *

وأما الخامس الجاني فناهيك بشهوان

فما زودني إلا بأثداء وأعكان[1]

وهتّاف بألحان وسُمّار على الحان

إذا أمسيت مساني بأشكال وألوان

على الأبواب ما يرضيك من حسن وإحسان

ومن صون لأسماع ومن غض لأجفان[2]

فلا تنظرهُمُ ثَمّةَ وانظر بين أحضاني

(١) أعكان : جمع عكن وهو ما تثنى من لحم البطن بسبب السمنة.
(٢) غض الأجفان : إغلاق العيون.

فيـــــــا للـه كم في الأ رض من غِيٍّ وغُـــيَّـــانِ[1]

وكم في القـــوم من مـــخـــد وع آبـــاء وإخـــــــوان

وأزواج وأصــــــهـــــــــار وخــــلان وأخـــدان[2]

لو أني قـلـت مـــــا أدري لهـــدوا كل أركـــانـي

فنعم الصـــمتُ والحكـ ـة يا صـــخـري وصـواني!

* * *

وكم صـــاحـــبت من أصـ ـحـــاب آداب وأديــــان

تجـافـوا وصـمـةَ العـاصي وعـافـوا شـهـوة الزاني[3]

وبـاتـوا بـين قـــــــــربان وتـرتـيـــل لقـــرآن

ولـم يَـأسَـــــوا من الـد نيـــا على غبن وحـــرمـــان

إذا مـــا شَـرفَتْني زمـر ةٌ منهم بصـــحــبـــان

حسبت الأرض تجـفـوني فـــأنســـاها وتنســـاني

وقـــالوا الجـــان لا تقـــر ب من مـــجلس فـــرقـــان

(١) الغي : الضلال. غُيَّان : جمع غوتي : الضال غير المهتدي. (٣) عافوا : كرهوا وتجنبوا.
(٢) الأخوان جمع خدن : الصديق والرفيق.

فــقــد ألفــيت بعض الإنـ س في العنصر كالجان[1]

ولكن شــر مــا آو يت في لؤم وعصيان

رياء الخائن العادي علــى أهـل وأوطـان

تلقّاهم بتمويه ولاقـوه بإيمان

وفي حجرة أسراري وفي ظلمة أوْ كـاني[2]

يبيع الحوزة الكبرى بِربْعٍ أو ببستان

ويعطي الحق والذمـ ـة والفتيا بأثمان

ويمشي بين قتلاه رفيع الذكر والشان

* * *

ولم أحمد من الضيـ ـفان ضيفا مثل فنان

تولاني بإبداع من الفن وإتقان

وغطى كل جدراني بمنضور ومزدان

وأوحى الحسن واستو حاه من جنات رضوان

(١) ألفيت : وجدت.
(٢) أوكان : جمع وكن : المأوى والعش.

فـحـسينا حـسن مكسـوٌ   وحـسينا حـسن عـريان
بريئـا في سـمـاء الفـ   ـن من عـسيث وأدران[1]
وفـتـانا على الحـا   لين لكن أي فـتـان
كـمـا تفـتنك الزهـ   رة في أعطاف أغـصـان

***

جـموع لست أحـصيها   ولـو دونـت ديـوانـي
ومـثلي كل جـاراتي   ومـثلي كل جـيراني
عـرفت الناس أشـتـاتا   بلا عـد وحـسـبان
فلم أعـرف أأعـداد   هُم أم جـمـع أقـران؟
إذا مـا اخـتلفـوا في   سيمـة تبـدو وشـغـلان[2]
فـهم في الموت أشـبـاه   وفي سـقم وأشـجـان
ومـا منهم فـتى إلا   بـكى حـسينا وأبـكاني
مـسـاكين فـلا تحـفل   من الناس بإنـسـان

(١) العيث : الفساد والتشويه. أدران : قاذورات وشوائب.
(٢) سيمة : شكل وصورة. شغلان : عمل.

ولا تحسد فتى منهم ... على بأس وإمكان

فأعلاهم وأدناهم ... أمام الغيب صنوان[1]

***

نزيل المنزل الخالي ... ألا تعرف عنواني؟

إذا ما طفت حوليه ... فشق أنك تلقاني

فما من منزل إلا ... وفيه بعض ألواني

تأمل في نواحيه ... وراقبه بإمعان

ولا يخدعك صمت فيـ ... ـه أو تفتيح بيبان

ولا تحسبه خلوا من ... مغاليق وأكنان[2]

إذا ما كنت مستحضر ... أرواح وحدثان[3]

فقف في المنزل الخالي ... وأرهف سمع يقظان

وأغمض فيه أجفا ... نك وانظر غير وسنان

(١) صنوان : مثنى صنو أى شبيه. (٣) حدثان الدهر : أحداثه ومصائبه.
(٢) أكنان : جمع كنّ والمقصود به المأوى والكهف والساتر.

تر الأطيـــاف أفـــواجـــا وتـســمع مـــوج طوفـــان

وتجـــمع كل مـــا يُجـــمع من ربح وخـــســــــران

ولا يـــخــطـئــك تـــاريـــخ ولا دارس أزمـــــان[1]

(۱) دارس أزمان : الأزمان الماضية والبعيدة العهد.

عسكري المرور

مـــتـــحكمٌ في الراكـــبين ... ومــــــالـه أبداً ركـــــوبة

لهم المثـــــوبة من بنا ... نك حين تأمــر والعــقــوبة

مــر مـــا بدالك في الطريق ... ورُضْ على مهل شعــوبه[1]

أنـا ثـائـر أبـداً ومــــــــا ... في ثورتي أبداً صــعــوبة

أنـا راكب رجلي فــــــلا ... أمـــرٌ عليّ ولا ضــريبــة

وكـــــذاك راكب رأســــــه ... في هذه الدنيـا العـجيـبة

(١) رُضْ : درِّب ووجِّه، من الترويض والتدريب.

كوكب الشرق[1]

هلَّل الشـــرق بالدعـــاءْ	كـوكب الشرق في السمـاء
عــاد في حلة الضـيـا	ءٍ، وفي هالة البـهـــاء
لـم يَغـب هـاجـــراً ولـ	ـكنْ كمـا غـرَّبت ذُكـاء[2]
لا تـخــافــوا على مطا	لعــــه سطوة المســـاء
واهــبُ الــنــور لا يـــدا	ريه عن نوره غــشــــاء
كــوكب الشرف في أمــا	ن من الليل لا مـــــراء

* * *

يا عــروس الســمـاع لبسا	ك من يســمع الدعـــاء
وشــفى أنفـســاً لعــينيـ	ـك تسـتــرخص الفــداء
انـظـري في وجـــوههم	تعــرفي نضـرة الوفــاء
كــلــهــم ود لــو يُـغـنـي	من البـشـر والصـفـــاء
لو بقـــدر الســرور نشـ	ـدو غـلـبـنـاك بـالـغـنـاء!

* * *

(١) قيلت في استقبال سيدة الغناء العربي أم كلثوم عند عودتها من رحلة علاجية في الخارج.
(٢) ذكاء : الشمس.

أمّ كلثوم يا بشير أ من الله بالرجاء

أنت من وحيه، ولله في الفن أنبياء

ذلك الصوت - صوتك العذب - من عرشه نداء

فيه سرٌ من جنة الخلد لكنه ضياء

فيه ما يرفع الحجاب وما يكشف الغطاء

فيه أنس لمن يشاء وسلوى لمن يشاء

فيه للمرتجي سلام وللمشتكي عزاء

فيه حرز من الهموم وعونٌ على القضاء

أي نفس إذا ترنمت لا تهزم الشقاء؟

إنه قوةٌ إذا عز من قوة نجاء

إنه من غنى إذا حُسب الصوت من غناء

إنه ثروة لمصر وما أجزل الثراء

مهرجانٌ لعيدها حيثما رفرف اللواء

وعلى الجرح إن شكت بلسم ناجع الشفاء

* * *

أيهـــــا الكوكب الذي أســـعــد الأرض باللقـــاء

رددي الطرف في الفـضـا ء، ومـــا أرحب الفـضـــاء

واســـأليــــه ســـؤال من يلحن الطيــر في الهــواء

هل سرى فيـه مـثل صـو تك في الحـــسـن والنقـــاء

في قــــديم الزمــــان أعـ ـني وفي حــاضــر ســواء

لا أحـــاشي من الرجـــا ل قـبـيــلا ولا النـســاء[1]

لا تجـيـــبي. أنا المجـيـ ـب، ولم أغلُ في الثناء[2]

أنتِ كـالشـمس لا تُعـدُ د في هذه السـمــــاء

(١) لا أحاشي : لا أستثني.

(٢) لم أغلُ : لم أبالغ.

الكروان

هل يسمعون سوى صدى الكروان ... صوتاً يرفرف في الهزيع الثاني

من كل سار في الظلام كـأنهُ ... بعض الظلام تَضله العـينان

يدعو، إذا ما الليل أطبقَ فوقهُ ... موجَ الدياجر، دعوةَ الغرقان

ويشبّ في الجو السحيق كأنه ... يبغي النجاة إلى حمى كيوان[1]

عاف التجمل فهو في جلبابه ... فـانٍ يرتل كـالأبيل الفـاني[2]

مـا ضرَّ من غنّى بمثل غنائه ... أنْ ليس يبطش بطشة العقبان

إن المزايا في الحيـاة كثيرة ... الخوف فيها والسُّطاسيان[3]

* * *

يا محييَ الليل البهيم تهجّداً ... والطيـرُ آوية إلى الاوكـان

يحدو الكواكب وهو أخفى موضعاً ... من نابغ في غمـرة النسيـان

قل يا شبيبةَ النابغين إذا دعوا ... والجهل يضرب حولهم بجران[4]

---

(١) كيوان : نجم في السماء.

(٢) عاف : كره وعزف عن. الأبيل : الراهب المتنسك.

(٣) السّطا : البطش والسطوة والجبروت.

(٤) الجران: باطن العنق من البعير، والمراد استقر وثبت.

كم صيحة لك في الظلام كأنها ... دقـات صـدرٍ للدجنّة حـان
هن اللغات ولا لغاتِ سوى التي ... رفعت بهنّ عقيرة الوجدان
إن لم تقيدها الحروف فإنها ... كالوحي ناطقة بكل لسان
أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى ... بثُّ الحزين وفرحة الجذلان[1]

* * *

إني لأسمع منك إذ ناديتني ... معنىً يقصر عنه كل بيان
لا عيب أنك في لسانك أعجم ... إذ كنتَ ناطقَ مهجة وجنان
والجاهلون بسر ما رجّعته ... من نغمة مأثورة ومعان
لا يسمعون بسر بين جنوبهم ... صمّاً وإن كانوا ذوي آذان

* * *

يا سالياً يشكو ويصدح وحده ... علّم سميرك راحة السلوان
جهلٌ لعمرك أن يطوّع صاحباً ... من جاهرته النفس بالعصيان
املك هواك فإن أطقت فَلَمْ فتى ... خان الوداد ـ فلستَ بالخوّان

(١) اللغى : اللغات. بث الحزين : شكواه وبوحه.

الكروان المجدد

زعموك غير مجدِّد الالحان ظلموك، بل جهلوك، يا كرواني

قد غيرتك ـ وما تغيّر شاعراً عشرون عاماً ـ في طراز بيان

أسمعتني بالأمس ما لا عهد لي بسماعه في غابر الألحان

ورويت لي بالأمس ما لم ترْوِه من نغمة وفصاحة ومعان

* * *

شكواي منك، وإن شكرتك، أنه سرٌّ تصرُّ به على الكتمان

شكري إليك؛ وإن شكوتك، أنه سرٌ تؤخره لخير أوان

كنز يصان فهباتٍ من حباته ذخر القلوب وحلية الآذان

* * *

أنا لا أراك؛ وطالما طرق النُّهى وحيٌ، ولم تظفر به عينان

أنا في جناحك حيث غاب مع الدجى

وإن استقر على الثرى جثماني

أنا في لسانك حيث أطلقه الهوى مرحا، وإن غلب السرور لساني

أنا في ضميرك حيث باح فما أرى سراً يغيّب به ضمير زماني

أنا منك فيّ القلب الصغير، مساجلٌ ... خفق الرَّبيع بذلك الخفقان

أنا منك في العين التي تهب الكرى ... وتضن بالصَّحَوات والأشجان

طِرْ في الظلام ببهجة لو صافحت ... حجر الوهاد لهمَّ بالطيران

تغنيك عن ريش الجناح وعزمه ... فرحات منطلق الهوى نشوان

فرحات دنيا لا يكدر صفوها ... بالمين غير سرائر الإنسان

* * *

علمتني بالأمس سرك كله : ... سرُّ السعادة في الوجود الفاني

سرُّ السعادة نفرة ومحبةٌ ... فيكم تؤلف نافر الأوزان

الكون أنتم في صميم نظامه ... وكأنكم فيه الطريد الجاني

أنتم سواءٌ كالصديق وبينكم ... بعدٌ كما يتباعد الخصمان

لا يحمل الطيار وزر العاني ... حمل ابن آدم عثرة الإخوان

لا عالمٌ منكم ولا متعلمٌ ... كلا ! ولا متقدمٍ أو وان

متشابهين على الحياة فكلكم ... ساري ظلامٍ، هاتف بأغان

متفرقين على المقامٌ ودأبكم ... عند الرحيل تجمّع القطان

وكأنما نُسختْ لكلٍ نسخة ... من هذه الأجواء والأوطان

فهو الشريك على نصيب واحدٍ ... وهو الوحيد فما له من ثان

ذخر الطبيعة منه تُعطَوْن الحجى لا من سباق بينكم ورهان

***

أنتم بني الطير المسبح في الدجى فيكم كهانة صالح الكهان

بعتم كرى الغافي وطيبَ رقاده وبه اشتريتم يقظة اليقظان

قل ما اشتهيت القول يا كرواني في لهو ثرثار وحلم رزان

سأعيش مثلك لي وللدنيا معاً وأقول مثلك كيف يزدوجان

وأظلُّ تزدحم الحياة بمهجتي أبداً ويجتنب الزحام مكاني

في عزلة أنا والحبيب تؤمنا دنيا الجمال، ونحن منفردان

الليل يا كروان

الليلَ يا كروان	بشراكَ طاب الأوان
بشراك؟ بل أنت بشرى	تهفو لها الآذان
سهران في الليل شاد	فكلنا سهران
وان تكن أنت حلماً	فكلنا وسنان
وسنان لم يمسهُ قلب	له ولا أجفان
النوم في الصيف وزرٌ	وفي الهوى كفران

* * *

الليلَ يا كروان	ما أنت والنسيان
حاشاك ما أنت ساهٍ	عنه، ولا كسلان
الليل ذكرى وأنت المـ	ـذّكر اليقظان
لكنما أنت روحٌ	وهل لروح مكان؟
بينا يقال قريبٌ	كأنه الوجدان
إذا به في صداه	كأنه كيوان[1]

* * *

(١) كيوان : نجم في السماء.

إن كان في السمع طيفٌ فــأنت يا كــروان

صـوت ولا جـثـمـان لحن ولا عـيـدان

كـأنـه هاتف في فـضـائه حـيـران

أو رجع صـوت قـديم يعـيـده الحـسـبـان

* * *

الليـل يـا كـروان فـأين منك البـيـان؟

ليل الطبـيـعـة صـمتٌ وأنت فـيـه لسـان

وظلمـةُ الليل سـرٌ فـاقـرأه يا ترجـمـان

مـا في الظلام ظلام الحـ ـيـاة لو يُسـتـبـان

إلاَّ صـيـاح اشـتـيـاق تـروضـه ألحـان

نصف الحـيـاة اضطرابٌ ونصـفـهـا أوزان

* * *

الليل والصـيف والحب كـلـهـن أوان

وأنـت مـنـهـن طـراً على وعـودٍ تصـان

خذ صمتهن وصفه شـدواً له سـريان

غص في قرار الدياجي فللدجى شطآن
واستقبل النجم علْوا إن النجوم حسان
وخذ من الصيف ناراً لا يعتليها دخان
وارقص مع الحب دوراً دارت له الأكوان
في الأرض بيتك ثاوٍ وفي السماء افتنان
وبين ذلك ملهى للحب، بل ميدان
واللهو في الحب فاعلم كالحرب يا كروان
عليك من ذا ومن ذا يا ابن الليالي أمان
شادي الغرام له من سكر الغرام ضمان
والصبح أول مَرسى يرتاده الركبان
ألا تَزاورَ عنه في الرحلة الريّان؟![1]
وما ارتضاه ولكنـ ـما الزمان زمان
فاملأ من الليل نفساً عزيزةٌ لا تُهان
لا هتفةٌ فيه تبقى إلى غدٍ أو أذان
الليل يا كروان! الصبح يا كروان!

(١) تزاور : أعرض وابتعد.

غن يا كروان

قم غـن يا كـــــروان غنٍّ		وتمنَّ في الدنيـــا ومنِّي
وأمن دجـــاك وإن عـــرف		ــتك في الحيـــاة قليل أمن
فـيم المخـافـة يا سـمـيـ		ـر الليل أو فـيم التـجني؟
لا أنت جـزل في الصـحـا		ف ولست في قـفص تُغنِّي
كـلاً ولا في خـافـقـيـ		ـك الخائلين بريقُ حسن
والصـقـر نام وأنت وحـ		ـدك تمدح الدنيـا وتثني
لك كل مـا دون الكوا		كب من سمـاك الليل مبني
فـأمن زمـانك أو فـخف		فـالطبع دون الرأي يغني
إني إخـالـك لو أمنـ		ـت لما هتـفت لنا بلحن

مـا أحسب الكروان!

مـا أحسب الكروان!

هل سـمـعت الكروان؟

***

موعدي يا صاحبي يوم افترقنا		حيث كانت جيرةٌ أو حيث كنا

هاتف يهـــتف بالأســـمــاع وهناً

هو ذاك الـكروان، هـو هذا الـكروان!

* * *

الكراوين كـــثـيــر أو قليـلْ عندنا أو عـندكم بين النخـيلْ

ثمّ صـــوتٌ عـــابرٌ كلٌ ســبـــيـلْ

هو صوت الكروان، في سبيل الكروان

* * *

لي صدى منه فلا تنس صداك هو شـــاديك بلا ريبٍ هناك

فـإذا مـا عـسـعس الليل دعـاك

ذاك داعي الكروان، هل أُجبت الكروان؟

* * *

مـــفــردٌ لكنه يؤْنسنا ســـاهرٌ لكنه ينعـسـنا

صـدحت في نفســه أنفـسنا فتسامعنا سواء، وسمعنا الكروان!

* * *

واحـدٌ أو مـائة ترجـعـه عـندنا أو عـندكم مطلعـه

* * *

ذاك شيءٌ واحـــد نســـمــعـــه

في أوان وبيـــان، هو صـــوت الكروان

واحـدٌ بين عـصـور وعـصـور نحن نسـتـحـيي به تلك الدهور

لم يفـتـنا غـــابر الدنيـــا الغـــرور

في أوان الكروان، مـــا أحب الكروان!

آه من التراب

أين في المحــــفل «ميّ» يا صـــحــــابُ؟[1]

عــــــودتنا ها هنا فـــــصل الخطابْ

عـــرشُـــهــــا المنبـــر مـــرفـــوع الجناب

مـــستـــجـــيبٌ حين يُدْعى مـــستـــجـــاب

أين في المحــــفل «ميّ» يا صـــحــــاب؟

* * *

ســــائلوا النخـــبـــــة من رهط النديّ

أيـن مــيّ؟ هـل عـلـمـــــــتم أيـن ميّ؟

الحـــــديث الحلو واللحن الشـــــجيّ

والجـــــبين الحــــــرّ والوجـــــه السنيّ

أين ولّى كـــــوكـــبـــــاهُ؟ أين غــــاب؟

* * *

(1) ميّ زيادة : اسم أدبي مستعار للأديبة الكاتبة ماري بنت إلياس اللبنانية الأصل، عاشت بين عامي ١٨٨٦ ـ ١٩٤١. انتقلت مع والديها إلى مصر بعد أن تلقت تعليمها الأول في فلسطين ولبنان، وأخذت تكتب في جريدة المحروسة ومجلة الزهور وكان لها منتدى أدبي شهير كان يقصده صفوة الأدباء في عصرها ويعقد بدارها كل ثلاثاء، كما كانت تربطها بالشاعر وبغيره من نجوم الأدب والفكر في زمانه علاقة وثيقة. لم تتزوج، وفي أخريات حياتها غلبها الحزن والاكتئاب بعد وفاة والديها.
من أشهر مؤلفاتها: باحثة البادية، مد وجزر، سوانح فتاة، الصحائف، كلمات وإشارات، ظلمات وأشعة، ابتسامات ودموع، ولها شعر كتبته بالفرنسية، وهذه القصيدة تصور فجيعة العقاد برحيل ميّ.

أسف الفن على تلك الفنون
حصدتها، وهيَ خضراءُ، السنون
كلُّ ما ضمته منهن المنون[1]
غصصٌ ما هان منها لا يهون
وجراحات، ويأس، وعذاب

***

شَيمٌ غُرٌ رضيّات عِذاب[2]
وحجى ينفذ بالرأي الصواب[3]
وذكاءُ ألمعيّ كالشهاب
وجمال قدسي لا يُعاب
كل هذا في التراب. آه من هذا التراب!

***

كل هذا خالدٌ في صَفَحات
عطرات في رباها مثمرات
إن ذوت في الروض أوراق النبات
رفرفت أوراقها مزدهرات
وقطفنا من جناها المستطاب[4]

***

(١) المنون : الموت
(٢) الشيم : جمع شيمة: الخلق الكريم. غُرّ: جمع غراء، المشرقة والمتألقة، عذاب : عذبة.
(٣) الحجى : العقل.
(٤) الجنى : الثمر.

مـن جنـــاها كـلّ حـسن نشـتـهـيـه
مـتـعـة الألـبـاب والأرواح فـيـه
سـائغ مُـيَّـز مِنْ كل شـبـيـه
لـم يـزل يحـسـبـه مَنْ يجـتنيـه
مُـفْـرَدَ المنبت مـعـزول السـحـاب

***

الأقـاليم التي تُنْمـيـه شَـتَّى[1]
كـل نـبـت يانـع يـنـجـب نـبـتـا
من لـغـات طوّفت في الأرض حـتى[2]
لم تدَع في الشـرق أو في الغـرب سَمْـتـا
وحـواهـا كلهـا اللبُّ العـجـاب[3]

***

يـا لـذاك الـلـب مـن ثـروة خِـصْـبِ
نـيِّـرٍ يقـبـسِ من حس وقـلـبِ
بين مـرعىً من ذوي الألـبـاب رحبِ
وغِنىً فـيـه، وجُـودٍ مـسـتَـحِـبِ
كـلـمـا جـاد ازدهى حُـسـناً وطـاب

***

(١) تنميه : تغذيه وتقويه.
(٢) يشير العقاد إلى إجادة «مي» لعدد من اللغات الأجنبية.
(٣) اللب العجاب : العقل المثير للإعجاب والدهشة.

طَلْعةُ الناضر من شعر ونثرِ[1]
كرحيق النحل في مطلع فجرِ
قابل النورَ على شاطيء نهرِ
فله في العين سحر أيّ سحرِ
وصدى في كل نفس وجواب

* * *

حيِّ «ميا» إن مَنْ شيع ميا
منصفاً حيّا اللسان العربيا
وجزى حواء حقاً سرمديا
وجزى ميًّا جزاء أريحيا
للذي أسدت إلى أم الكتاب[2]

* * *

للذي أسدت إلى الفصحى احتسابا
والذي صاغته طبعاً واكتسابا
والذي خالته في الدنيا سرابا
والذي لاقت مصاباً فمصابا
من خطوب قاسيات وصعاب

* * *

(١) المطلع : الثمر ويقال طلع النخل : ثمره.
(٢) أم الكتاب : هي اللغة العربية.

أتُراهـا بعـد فـقـد الأبـويْـن

سلمت في الدهر من شجـوٍ وبَيْن[1]

وأسىً يظلمـهـا ظلم الحسين

ينطوي في الصـمت عن سمع وعيْن

ويذيب القلب كالشمع المذاب

* * *

أتـراهـا بعـد صـمت وإبـاءْ

سلمت من حسـدٍ أو من غـبـاءْ

ووداد كلّ مـا فـيـه ريـاءْ

وعـداء كل مـا فـيـه افـتـراءْ

وسكونٍ كل مـا فـيـه اضطـراب

* * *

رحـمـة الله على «ميٍّ» خـصـالا

رحـمـة الله على «ميٍّ» فـعـالا

رحـمـة الله على «ميٍّ» جـمـالا

رحـمـة الله على «ميٍّ» سـجـالا[2]

كلما سُجل في الطرس كـتـاب[3]

* * *

(١) الشجو : الحزن الشديد والأسى المهلك. البين : الغربة والاغتراب والبعاد.
(٢) السجال : الدمع المنهمر والدلو المظيمة والكتاب الذى دون فيه ما يراد حفظه.
(٣) الطرس : الصحيفة وورق الكتابة.

تلكُم الطلعة ما زلت أراها

غضةٌ تنشر ألوان حلاها

بين آراء أضاءت في سناها

وفروع تتهادى في دجاها !

ثم شاب الفرْع والأصل، وغاب

* * *

غاب والزهرة تؤتي الثمراتْ

ثمرات من تجاريب الحياةْ

خير ما يُؤْتي حصاد السنواتْ

بعثرتهن الرياح العاصفاتْ

ورمتهن تراباً في خراب

* * *

ردُّ ما عندك يا هذا التراب

كلّ لب عبقري أو شباب

في طواياك اغتصاب وانتهاب

خُلقا للشمس أو شُمّ القباب[1]

خُلقا لا لا نزواء واحتجاب

* * *

(١) شم القباب : القمم العالية. شمّ : جمع شماء. والقباب : جمع القبة.

وَيْكَ ! مـــــا أنت يـراداً مـــــا لـديك

أضـــيعُ الآمـــال مـــا ضـــاع عليك

مـــجــدُ «ميٍّ» غــيــر مــوكــول إليك[1]

مــجــد «ميٍّ» خــالص من قــبــضــتــيك

ولــهـــــا من فـــضـلهـــــا ألف ثواب!

* * *

(١) موكول إليك : مسئوليته تقع عليك.

بيچو[1]

حزناً على بيچو تفيض الدموع

حزناً على بيچو تثور الضلوع

حزناً عليه جهدَ ما أستطيع

وإن حزناً بعد ذاك الولوع

والله - يا بيچو - لحزن وجيع

* * *

حزناً عليه كلما لاح لي

بالليل في ناحية المنزل

مسامري حيناً ومستقبلي

وسابقي حيناً إلى مدخلي

كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحف

أخشى عليها من يديه التلف

ثم تنبهت وبي من أسف

(١) بيچو : هو كلب العقاد.

ألاّ يصيب اليوم منها الهدف ....

ذلك خير من فؤاد صديع

***

حزني عليه كلما عزني

صدق ذوي الألباب والألسن

وكلما فوجئتُ في مأمني

وكلما اطمأننتُ في مسكني

مستغنياً، أو غانياً بالقنوع[1]

***

وكلما ناديته ناسياً :

بيچو ! ولم أبصر به آتيا

مداعباً مبتهجاً صاغيا ...

قد أصبح البيت إذن خاويا

لا من صدى فيه ولا من سميع

***

نسيت؟ لا . بل ليتني قد نسيت

حسبتني ذاكِرةً ما حييت

(١) غانيا : مستغنيا.

لو جاءني نسيانه ما رضيت

بيچو مُعزيٌ إذ ما أسِيتُ[1]

بيچو مُناجِيٌ الأمين الوديع

* * *

بيچو الذي أسمع قبل الصباح

بيچو الذي أرقب عند الرواح

بيچو الذي يزعجني بالصياح

لو نبحةٌ منه، وأين النباح؟

ضيعت فيها اليوم ما لا يَضيع

* * *

خطوته.. يا بَرْحَها من ألم

يخدش بابي وهو ذاوي القدم

مستنجداً بي، ويح ذاك البَكَمْ!

بنظرة أنطقَ من كل فم

يا طول ما ينظر، ! هذا فظيع!

* * *

نَمْ لا أرى النوم لعيني يطيب

(١) أسيتُ : شعرت بالأسى.

أنتم خبيرون بنهش القلوب
يا آل قِطْميرَ هواكم عجيب[1]
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضي الدنيا... ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأفواج يوم الأحد
والبحر طاغ والمدى لا يُحَدّ
عيناي في ذاك وهذا الجسد
بوحشة القلب الحزين انفرد
والليل، والنجم، وشعب خليع!

* * *

أبكيك، أبكيك وقلَّ الجزاء
يا واهب الود بمحض السخاء
يكذب من قال طعامٌ وماء
لو صحّ هذا ما مَحَضْتَ الوفاء[2]
لغائبٍ عنك، وطفل رضيع!

---

(١) «قطمير» هو اسم كلب أهل الكهف.
(٢) محضت الوفاء : أخلصت الوفاء بدون مقابل.

فهرس المختـــارات

دواويـــن العقـــاد

الـديـــوان	سنة الطبعة الأولى
١ ـ يقظة الصباح	١٩١٦
٢ ـ وهج الظهيرة	١٩١٧
٣ ـ أشباح الأصيل	١٩٢١
٤ ـ ديوان العقاد	
(يضم الدواوين الثلاثة السابقة + ديوان أشجان الليـل)	١٩٢٨
٥ ـ وحي الأربعين	١٩٣٣
٦ ـ هدية الكروان	١٩٣٣
٧ ـ عابر سبيل	١٩٣٧
٨ ـ أعاصير مغرب	١٩٤٢
٩ ـ بعد الأعاصير	١٩٥٠
١٠ ـ ديوان من دواوين	
(يضم مقتطفات من الدواوين التسعة السابقة بالإضافة إلى قصائد جديدة)	١٩٥٨
١١ ـ ما بعد البعد	١٩٦٧
(الديوان الوحيد الذى صدر بعد رحيل الشاعر، يضم أيضا مقالات كتبت في رثاء العقاد؛ جمعه وأعده للنشر عامر العقاد)	

دواوين العقاد

- يقظة الصباح
- وهج الظهيرة
- أشباح الأصيل
- ديوان العقاد
- وحي الأربعين
- هدية الكروان
- عابر سبيل
- أعاصير مغرب
- بعد الأعاصير
- ديوان من دواوين
- ما بعد البعد



